38

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

عينان

Looloo
www.dvd4arab.com

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

هذه القصة استكمال لفكرة بدأها أستاذ الأدب الساخر العظيم (محمد عفيفى) ، فى كتابه (فانتازيا تاريخية) ، حين تخيل نفسه ضائعًا فى بلاد اليونان يفتش عن أفضل فلسفة ممكنة .. لايخجل التلميذ من الاعتراف بأنه بدأ من إحدى أفكار أستاذه ، خاصة إذا كان الأستاذ فى ثقل وعمق وموهبة وتميز (محمد عفيفى) .

1

دعنا نأخذ الأمر على هذا المحمل : لايوجد شىء شخصى ..

فى البداية كان هناك هذا التوجس وهذا الحماس من أجل الوطن .. فقط ..

أما الآن وقد فاق الأمر تصورهم للأمور ، فإن الذعر هو الذى بدأ يلعب الدور الرئيس فى القصة .. الذعر من شىء غير مبرر وغير مفهوم ..

تتذكر (عبير) أنها فى طفولتها كانت فى الفناء الخلفى للمدرسة ، تلعب مع صديقاتها ألعاب البنات الصغيرات السخيفة إياها ، حين رأت أغرب دودة رأتها فى حياتها .. دودة زرقاء عملاقة .. ربما لم تكن المقاييس دقيقة ، لكن (عبير) تذكر أن الدودة كان لمقطعها نفس قطر ساعدك .. وهكذا راحت الفتيات يصرخن وانهلن بالركلات على الكائن التعس .. لم تكن الدودة قد أظهرت أى شىء مقلق .. كانت بطيئة تعسة معدومة الحيلة ، لكنها كانت غريبة .. وكانت ركلات الفتيات تنهال لا على الدودة بل على الغرابة .. على اللغز .. على التهديد الذى يسببه كل ما هو غير مألوف ..

الآن يمكنها أن ترى ذات اللمسات فـى الطريقـة التـى يتعامل بها الرجال ..

كان من الواضح أن السم لن يفعل شيئاً ..

أثار هذا ارتباك الرجـال كثيرًا مـع قدر لا بـأس بـه مـن الهلع ..

لقد نهض (راسبوتين Rasputin) الرهيب ممسكًا ببطنـه .. وهو يتحرك بطريقةَ ديناصورات السينما المتخشبة .. عينـاه متسعتان فى ألم ورعب .. رعب مرعب فى حد ذاته .. ويبدأ يعوى كالذئاب ..

ترنَّح لحظـةً .. كاد يسقط ثم تماسك .. بدا جليًّا أنه يقـاوم بعنف .. إنه يحاول أن يطرد السمَّ من خلاياه .. أن يقهره .. قامته الفارعةَ تقف هنالك ، ومن حوله يقـف الرجـال قصـار القامةَ مذعورين ..

ماذا سيحدث حين يستخرج الأسد السهم من بين ضلوعه ؟ ماذا سيحدث حين يستعيد قواه ؟

★ ★ ★

كانت (عبير) تقف هنالك قرب إحدى النوافذ المطلة على القبو ، وقد أخفت أكثر جسدها خلف النافذة ، لكنها سمحت لوجهها بأن يطل عبر ثنيات الستار الشفاف إلى المشهد الرهيب بالداخل ..

هذه جريمة قتل .. قتل مع سبق الإصرار والترصد .. يقوم بها عدد من الرجال ضد رجل واحد ، لكن حجم هذا الرجل وقدراته الخارقة جعلتها ترتجف خوفًا على الرجال .. ماذا سيحل بهم لو .... ؟

السبب الثانى لرجفتها هو أن الطقس كان باردًا فى هذه الليلة من شهر ديسمبر عام 1916 .. هذا أقل ما تصف به نهرًا متجمدًا وأشجارًا اكتست بالثلج .. حتى الظلام نفسه تجمد ، وربما الأشباح ذاتها ..

(راسبوتين) الرهيب يهزّ رأسه .. شعره الأسود الفاحم الطويل ينتثر من حوله ، كأنما هو يطرد ما بقى من السمّ فى أوصاله ..

تتسع عيناه الجهنميتان النمريتان وينظر إلى الأمير ويقول :

- « أخطأت أيها الأمير (فليكس فليكسوفتش يوسبوف) ! (راسبوتين) لا يموت بالسم .. »

كان له صوت عميق مدو .. هذا مناسب جدًا لعينيه .. صاحب هاتين العينين لا يتكلم إلا بهذا الصوت ، ولا يحق له استعمال صوت آخر .. دعك من حقيقة أنه صوت خلق ليتكلم الروسية أصلاً ..

وضحك .. ضحكة من تلك الضحكات التى تجلجل فى الصدر ، وغالبًا ما تجلب معها الكثير من السعال .. وأردف :

ـ « منذ أعوام لا أذكر عددها أبتلع قدرًا من السم كل يوم .. واعتدت أن أزيد الجرعة حتى يعتاد جسدى .. لم يعد هناك سم أرضى يقدر على قتل (راسبوتين) .. »

ثم أطبقت كفه العملاقة على حلق الأمير ..

ما يقوله الأطباء حديثًا هو أن إفراط (راسبوتين) فى الخمر أفقده عصارة معدته الحمضية ، وبالتالى لم يستطع سم (السيانيد) أن يتحول إلى حالة متطايرة .. وطبعًا كان (السيانيد) هو السم الذى اختاره الأمير بحظه الأسود ..

صرخ الرجال فى رعب وهم يرون الأمير يوشك على أن يهلك بيد العملاق المخيف ، وتصايحوا :

ـ « افعلوا شيئًا ! هلم يا (ديمترى رومانوف) .. هلم يا (فلاديمير بيرشكفيتش) ! »

وانقض الرجال على العملاق ..

على الأقل ساعد هذا فى أنه أطلق سراح حنجرة الأمير ، ثم هوى بصفعة على وجه الدوق (روماتوف) .. الصفعة لاتحدث سوى الإهانة لو تمت بكفك أو بكفى ، أما هنا فالأمر يشبه الاصطدام بمقدمة قطار مسرع ..

راجفة مدت (عبير) يدها إلى حقيبتها الصغيرة ، وأخرجت الكاميرا ..

إن الإضاءة لاتسمح ، لكنها تؤمن بحساسية الفيلم وإمكانات الأشعة تحت الحمراء ..

سوف تلتقط بعض صور ثم تفر .. هذا مشهد لايفوت بسهولة ..

حمل (بيرشكفيتش) قضيبًا معدنيًا ـ يبدو أنه كان محركًا للنار ـ وهوى به على رأس العملاق .. يمكنك أن تسمع العظام تتهشم ولا دور لخيالك فى هذا ..

لكن العملاق استدار وأمسك بالقضيب ، ثم أطاح به رجلاً آخر يقف جواره ..

الأمر يشبه السيطرة على ثور هائج ..

(عبير) متوترة تشهق .. تلتقط عشرات الصـور ، وهـى تحاول ألا تبرز من وراء الستار ..

المعركة تتطور .. إنهم يتجهون إلى درجات السلم ، والأمـير الذى أفاق نوعًا يخرج مسدسًـا عتيقًا ويثب مقتفيًا أثر العملاق المخيف ..

تخـرج (عبير) مـن مكمنهـا ، لأنهـا أدركت غريزيًـا أن الأحداث ستجرى من فوق رأسها ..

بالفعل كانت هناك شرفة تطلّ على نهر (نيفـا) المتجمـد .. شرفة رقيقة تحف بها الفوانيس وأغصان النباتات .. شـرفة خلقت لعوالم أخرى غير هذه ، ولا شك أن زوجـة الأمـير (فليكس) الحسناء (إيرينا) وقفت هنا أكثر من ليلة ترمـق الأفق وتتنهد .. والحقيقـة أن هذا هـو الطعم الـذى ألقـى لـ (راسبوتين) هذه الليلة بالذات .. إنه سيقابل (إيرينا) ..

ترفع رأسها فترى أن (راسبوتين) يقـف الآن فـى الشرفة مستندًا إلى الحاجز ، وأنه يعوى كالدببة ..

ثم دوى صوت الطلقات .. طلقة .. طلقة .. طلقة ..

إنهم يطلقون عليه الرصاص ، وقد أدركـوا أن الأسـاليب الراقية كالسم وتهشيم الرأس لا تجدى مع رجل كهذا ..

إنه يسقط ..

الأمير يصرخ فى رفاقه :

ـ « إنه حى ! »

صوت آخر :

ـ « صدره يختلج .. لم يمت بعد .. »

طلقة أخرى ..

وفى اللحظة الثانية امتدت الأيدى تحمل هذا الجسد الرهيب ..

وهوى جوارها مندفعًا كأنه صخرة عملاقة تتحدر من فوق تل .. ثم سمعت صوت الجليد يتهشم ، والماء ينتثر .. حتى كاد يبلل عدسة الكاميرا التى تحملها ...

التقطت صورة للحفرة التى أحدثها وسط الجليد ، بينما من فوق رأسها تسمع أحدهم يقول :

ـ « انتهى أمره .. حتى لو كان حيًا فلن يظل كذلك تحت الثلج .. »

كان يلهث .. فى نبراته من الرعب أكثر مما فيها من تَشَفٍّ أو غضب ..

ـ « لا بد من أن نرى ذلك على ضوء المشاعل ليطمئن قلبى .. »

ـ « يا للشيطان ! أى وحش هذا ! »

وابتعدت الأصوات ، فقدَّرت (عبير) أنها قامت بمهمتها على خير وجه ..

معها صور ورؤية العين .. ويمكن القول إن المشهد تم كما وصفته الكتب بدقة تامة ..

حان الوقت كى تعود وقبل أن يروا الأداة الغريبة التى تخفيها بين الأشجار ..

★ ★ ★

2

ذات ليلة ..

نصب له بعض علية القوم فخًا ..

ولا يمكن أن تلومهم على ذلك ..

« تعال لزيارتنا » .. كذا ألحوا عليه ..

وبالفعل جاء ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

★ ★ ★

هل رأيت من قبل آلة زمن ؟

لو لم تكن قد فعلت فعلى الأقل تملك تخيلاً عامًا استقيته من السينما ، وهى تلك الآلة التى تشبه كرسى الحلاق أو كابينة الهاتف .. حسن .. لم تكن هذه الآلة تختلف كثيرًا ، لكن ضع فى ذهنك أنها تبدو إلى حد ما كفقاعة كبيرة كذلك .. سطحها براق محدودب يعكس العالم الخارجى مشوهًا زائفًا ، وإن كانت هذه نقطة مهمة للتعمية أو (الكاموفلاج) .. حين تنعكس عليها الموجودات الخارجية يصعب أن تراها حقًا ..

كانت (عبير) تركض فى الظلام .. قدماها تنزلقـان فوق الجليد المجاور لحـافة البحيرة ، ومـن فـوق رأسـها الغصون المتجمدة تراقبها فى صمت .. لا يمكنك أن تعرف أية أشجار هذه حتى لو كنت خبيرًا .. إلا لو كنت قادرًا على ذكر أسـماء مجموعة من الرجال الصامتين المسربلين بالأبيض ..

ها هى ذى آلـة الزمـن .. تذكـرة العـودة إلـى أرضـك وزمنك ..

إنها تنتظر كأى جواد أمين حيث تركتها تحـت الأشجار ، وحيث كان بوسعها من ذلك الموضع أن ترى أضواء قصـر الأمير (فليكس) ..

لاهثة من البـرد والانفعـال جلسـت فى المقعد .. أحكمـت ربط حزام الأمان ، ثم ضغطت زر غلق الباب ..

فووووم .. الباب ينغلق ببطء ، وللمرة الأولى تشعر بـالدفء منذ ساعة ، ومنذ تسـللت لتلقـى نظـرة أقرب علـى المشـهد الرهيب ..

القفاز يعوقها لذا نزعته .. وبإصبع واحد مرتجف راحـت تدق على الأرقام : خمسة ـ تسعة ـ ألف ـ تسعمائة ـ تسعة ـ تسعون .. الساعة 20 .. أى الثامنة مساء ..

هنا شعرت بحركة غير عادية بالخارج ..

رفعت رأسها فوجدت أنها تحدق مباشرة فى الأمير ورفاقه .. كانوا يقفون بالخارج ينظرون إلى الفقاعة وقد اتسعت عيونهم رعبًا .. سوف نتذكر كلمة (برادبورى Bradbury) عن أنه بالنسبة للرجل البدائى لا فارق بين التكنولوجيا والسحر ، ونقول نحن إنه بالنسبة لهؤلاء القوم لا فارق بين آلة الزمن والوحش الأسطورى ..

فجأة وجد الأمير هذا الشىء العجيب فى حديقة قصره .. فماذا يفعل وماذا يقول ؟

لم يكونوا وحدهم .. كان هناك عدد من الحراس القيصريين بثيابهم المزركشة وبنادقهم المضحكة ..

بنادقهم ؟

نعم .. للأسف .. كانت هناك بنادق وغدارات مصوبة نحوها .. وكان الأمير يقول شيئًا وهو يضغط على الزناد .. وكانت (عبير) تعرف شيئًا واحدًا .. لا يمكنها أن تجازف بعبور حاجز الزمن بزجاج مهشم ..

أين هذا المحول اللعين ؟

ضغطة .. إنه لا يستجيب ..

تعرف هذا طبعًا ، لأن هـذا هو البروتوكول .. كل جهاز يعمل جيدًا حتى اللحظة التى تتوقف فيها حياتك عليه ..

ـ «أستانافيتيس !! »

ماذا يقولون ؟ ما دخل (الفتيس) فى الموضوع ؟ لقد كف (دى جى) عن الترجمة وإنها لعلامة خطيرة .. فجأة لم تعد تفهم الروسية ، لكن لا تحتاج إلى أن تكون (دستويفسكى) كى تفهم ما يقوله لك رجل صارخ وهو يفتح كفه فى وجهك .. قف وإلا خربت بيتك .. شىء من هذا القبيل ..

ضغطة أخرى فى اللحظة التى انطلقت فيها الطلقة الأولى ..

هل رأتها ؟ هذا ما تعتقده ..

إن ألاعيب الزمن هذه تسمح بكل شىء .. ولقد قرأت من قبل قصة عن معجل الزمن الذى جعل صاحبه يرى كل شىء مهما كان سريعًا ، دعك بالطبع من أسلوب (زمن الرصاصة) الذى ابتدعه فيلم (ماتريكس) ..

أخيرًا ترى تلك الدوامة الزمنية التى جاءت عن طريقها ..

شعور الغثيان والدوار .. شعور الهبوط لتغوص فى القاع ثم تعلو ...

هل هى تصرخ ؟ لا تعرف .. لكنها تسمع صرخاتها وأنينها وسط كل هذه الضوضاء ..

مبان ترتفع كأنها تنطح السماء ، ثم تغوص فى الأرض بسرعة البرق .. وأشجار تعلو وتلتف وتتشعب ثم تغيب فى الأرض .. بينما الشمس تعبر الأفق بسرعة جنونية كأنها نيزك مشتعل يتقدمها النور ويخلفها الظلام ..

الحق أنها لرحلة تدير الرءوس ...

* * *

الآن ترى معالم القاعة الواسعة .. تشم رائحة حمض الكربوليك تتسرب إلى خياشيم أنفها آتية من مكان ما ، وتتجسد الرؤية أكثر فتبصر الكشافات المسلطة على آلة الزمن .. أجهزة الحاسب الآلى المحيطة بها .. الكاميرات التى تهدر تلتقط جزءًا على مليون من الثانية ، ومئات الماسحات الإشعاعية والحرارية ..

باختصار : كل شىء كما تركته منذ ....

منذ دقيقة ؟

كان هذا واضحًا .. لقد رحلت للماضى وعادت بعد دقيقة من لحظة انطلاقها .. كان العامة يسخرون من النظرية النسبية حين اشتهرت ، بأغنية تقول : كانت هناك فتاة تدعى (مارى) سافرت اليوم إلى (نيويورك) ثم عادت الأسبوع الماضى .. يبدو أنهم كانوا على حق ..

أخيرًا تنفتح القبة الزجاجية فيندفع منها البخار الأزرق .. كأنها وحش ينفث البخار من منخريه ...

تشعر بالرهبة وتشعر بما يستشعره الآخرون من رهبة ..

وحين بدأ البخار ينقشع كان أول وجه تراه هو د. (سلاتر) .. برأسه الأصلع الدقيق ونظارته سوداء الإطار .. التعبير الطفولى المعتاد على وجهه .. كان يلبس ككل الواقفين هنا ذات البزة الزرقاء الشبيهة بـ (الأوفرول) وقد ثبت على صدره بطاقة تحمل اسمه وصورته مع شعار المشروع HR .. كلا .. ليس اختصار (معدل ضربات القلب) كما سيعتقد الأطباء ، ولكن اختصار عبارة (التاريخ وقد أعيدت كتابته History rewritten) ..

خرجت من مكمنها على ساقين رخوتين ، فساعدها أحدهم على النزول ، ثم ـ كأنهم رجل واحد ـ دوى التصفيق من الأكف ..

إنها التجربة الأولى من هذا الطراز ..

قالت وهى تشهق انفعالاً بتلك الطريقة التى تجعلها غير قادرة على استكمال جملة واحدة :

- « كنت هناك .. رأيت .. رأيت .. (راسبوتين) .. رأيت عملية .. عملية اغتياله لدى الأمير .. »

قال (سلاتر) فى رفق :

- « فيما بعد يا صغيرة .. فيما بعد .. سيكون ثمة وقت كاف لسماع شهادتك وتسجيلها ، ولسوف نحمض الفيلم الذى جئت به ونحلله .. »

- « كادوا .. يقتـ .. يفتكون بى .. أطلقوا علىَّ الرصا .. الرصاص .. »

قال أحد الفنيين وهو يتفحص مقدمة آلة الزمن مدققًا :

- « بالتأكيد .. هذه الندوب لم تنتج عن الشيخوخة .. »

فى حذر قال د. (سلاتر) وهو ينظر للرجال :

- « يجب أن نحمد الله على أن الزجاج لم يتهشم .. إن التسرب كان خليقًا بأن يسبب مشاكل عسيرة .. ربما تلاشيت تمامًا بين الأبعاد .. »

سأل أحد الفنيين :

ـ « هل نفحص الآلة الآن ؟ »

ـ « لا داعى للعجلة .. من الممكن أن نفعل هذا غدًا ، والمهم الآن أن نعنى بمسافرتنا .. »

كان (جيمى) واقفًا بين الرجال ، وكان يضحك لها برقة .. طبعًا كان يحمل ذات ملامح (شريف) زوجها السابق ، وقد جعلها هذا تقرر فى نفسها ألا تثق به أكثر من اللازم .. فيما مضى كانت هذه علامة إيجابية ، أما اليوم فهى شىء لا تستطيع أن ترتاح إليه ..

قال لها (جيمى) وهو يمد يده ليمسك بيدها :

ـ « فيما بعد .. كما قال د. (سلاتر) .. أما الآن يا (بيتى) فلسوف تخضعين لفحص طبى دقيق .. بعد هذا حمام دافئ ونوم وربما عشاء أيضًا .. »

وهكذا تركت نفسها لمجرى الأحداث ، والحقيقة أنها كانت مرهقة فعلاً .. صحيح أنها لم تمر بأحداث كثيرة بعد ، لكن (فانتازيا) تصر على أن تكون مرهقة وهذا ما صارته ..

★ ★ ★

بدأ كل شىء منذ عام على الأقل حين وقف د. (سلاتر) أمام القاعة .. فقط نصف وجهه هو الظاهر فى الضوء المنعكس من الشاشة ، وقد انعكس الضوء على نظارته بتلك الطريقة التى تجعلها تضىء هى ذاتها ، وتجعل صاحبها يبدو متحجر العواطف ..

قال بصوته الرخيم المنوم :

- « التجربة التى قمت بها أنا مؤخرًا هى ذات التجربة التى نعرفها جميعًا .. احك قصة حادث لصديقك ، واطلب منه أن يحكى القصة لخمسة من أصدقائه ، بشرط أن يحكى كل واحد منهم ذات الحادث لخمسة آخرين .. سوف يبدأ التفاعل المتسلسل .. المتوالية الهندسية تكبر بسرعة لا تصدق .. بعد أيام سوف تصلك القصة أنت نفسك .. ولكن ماذا صارت ؟ سوف يصيبك الهلع مما جرى : السيارة (الفيرارى) الحمراء تحولت إلى سيارة (فولكس) بيضاء ، والضحية لم تعد طفلاً عائدًا من المدرسة ، وإنما مجموعة من عمال الموانى ، والسائق الثمل صار إرهابيًا يعمل فى جيش التحرير الإيرلندى .. باختصار سوف تجد أن القصة تحولت فى غضون أيام إلى قصة أخرى تمامًا .. »

ساد الصمت .. الكل يعرف هذا .. الكل يقبل هذا ..

عاد الرجل يستطرد :

ـ « الآن دعنا نر أحداث التاريخ الكبرى .. ماذا عن حرب (طرواده Troy) ؟ لماذا هزم (نابليون) فى (واترلو Waterloo) ؟ هل كان (هتلر) شريرًا ؟ »

هنا يبدو أن الرجل فتح بابًا من أبواب الجحيم ؛ لأن أصوات (البووو) والـ (هووو) تصاعدت من أرجاء القاعة .. هناك يهود هنا بالتأكيد ، وهم يقبلون أى تفتح علمى ما عدا أن تقول إن (هتلر) لم يكن شيطانًا ..

تعالت الأصوات فصاح الرجل كى يجعل صوته أعلى :

ـ « أقول مثلاً .. وعلى كل حال نحن لا نثق فى شىء يا سادة ، لأن التاريخ يكتبه المنتصرون .. إن المثال الذى قدمته عن الحادث يتعلق بقصة أعيد سردها ثلاثة أيام .. فماذا عن قصة تحكى منذ آلاف السنين أو مئاتها ؟ هذا هو مفتاح تجربتى .. يجب أن نعيد سرد التاريخ كما حدث فعلاً ، لا كما حكوا ، ولا كما نريده أن يكون .. »

وعلى الشاشة خلفه ظهر شعار HR مهيبًا عملاقًا ..

أردف قائلاً :

ـ « التاريخ وقد أعيدت كتابته .. هذا هو مشروعنا الذى

تموله منظمة اليونسكو .. سوف نكتب التاريخ سطرًا سطرًا حتى لو لم يرق لنا ما نكتبه .. عندئذ نعرف .. هل تتكرر أغلاط البشر لأنهم حمقى لا يتعلمون ؟ أم لأن التجارب السابقة لم تدون بدقة ؟ »

هتف هاتف من الجالسين فى شىء من السخرية :

- « وكيف تفعل هذا ؟ هل تذهب للتاريخ لتأخذ منه حديثًا صحفيًا ؟ »

لم يغضب (سلاتر) .. لم يتوتر .. لم يسخر ..

فقط قال بهدوء :

- « هذا هو ما سنفعله فعلاً .. »

- « وهل أكون وقحًا لو سألت كيف ؟ »

★ ★ ★

- « بآلة الزمن طبعًا .. »

قالها كبير فريق الفيزيائيين وهو يدور حول المنصة العملاقة التى تربعت فوقها آلة الزمن .. بدا المنظر إلى حد ما دعائيًا كأنه أحد معارض السيارات .. وقد قدرت (عبير) - التى صار اسمها (بيتى) هنا - أن كثيرًا من عبارات السخرية والهجوم سوف تنهمر على رأس العالم ..

كان يمشى مع لجنة مكونة من العسكريين الأمريكيين ـ لهم ملامح تذكرك بكلاب الصيد اليقظة ـ ودافعى الضرائب والصحفيين ، وكان ما سيقوله عسيرًا ، لكن الرجل كان طويل الفتيل يعرف كيف يمتص سخرية محاوريه ..

سأله صحفى وقد بدا عليه أنه مستمتع بما يحدث هنا :

ـ « هل لنا أن نعرف متى وكيف وجدت هذه الآلة ؟ »

بدأ الفيزيائى الكبير فى شرح علمى طويل ، اسمحوا لى ألا أعيده هنا ؛ لأنى ـ بلا تزويق ـ لم أفهم منه حرفًا .. إن من يتهمنى بالقدرة على استيعاب هذه الأمور لا يعرف شيئًا عنى .. ويمكن بلا تجن كبير أن تقول إن أحدًا من الواقفين لم يفهم شيئًا .. لست الجاهل الوحيد هنا ..

فى النهاية قال الصحفى الذى لم يفهم شيئًا :

ـ « وتريدنا أن نصدق هذا الكلام ؟ »

قال العالم وهو يضع يديه فى جيبيه بثقة :

ـ « أنا لا أريد أى شىء من أى نوع .. فقط نبحث عن متطوع بشرى .. »

ـ « إذن لم ترسلوا إنسانًا فى هذه الرحلة ؟ »

ـ « أرسلنا (روبوت) مزودًا بكاميرا .. ثم أرسلنا قردًا فقط لنتأكد من أنه سيعود لنا حيًا يرزق وليس عجين هامبورجر .. يمكن القول إن هذه الآلة فعالة ـ وهذا مهم ـ وآمنة .. وهذا أهم .. »

هنا سأله أحد العسكريين بلهجة تقريرية صارمة :

ـ « لماذا لم تطلبوا طيارًا من (ناسا) ؟ إن من يركب سفينة فضاء يمكنه قيادة آلة زمن .. »

قال العالم بصوت عال ، كأنما هو يوجه صفعة لشخص ما :

ـ « يجب أن أقول هنا إن (ناسا) ترفض التعاون معنا .. إنهم لا يصدقون حرفًا مما نقول ، ويحسبون أنهم سيضيعون سمعتهم بالاشتراك فى هذا الهراء .. »

ـ « وما هى شروطكم لهذا المتطوع ؟ »

قال ببساطة :

ـ « شرط واحد : أن يقبل ! »

ـ « ولماذا لاترسلون أحد صبيتكم القابعين هنا بلا عمل ؟ »

ـ « سوف يتهمنا الجميع بأننا لسنا محايدين .. ما نريـده هو شخص خـارج المشـروع .. شـخص غير متحيز .. شخص يعتبرنا نصابين ، ويبحث عن فرصة لإثبات ذلك .. شخص له احترامه لدى وسائل الإعلام .. شخص ... »

وكانت عيناه متصلبتين على عينى (عبير) ...

وفى هذه اللحظة عرفت (عبـير) مـا سيحدث فـى الأيام التالية ...

★ ★ ★

قال لها (جيمى دافنبورت) قائد الفريق الطبى :

ـ « لا أعتقد أن هناك مشاكل .. إن القرد الذى أرسلناه ما زال حيًا يرزق .. »

ابتسمت فى رفق وقالت :

ـ « هذا يريحنى .. لكنى أسأل عن أمور أخـرى .. أسأل عن الخيال .. عن التشنجات .. عن الاكتئاب وعن السرطان الذى سيظهر بعد أعوام .. »

قال لها وهو يحك رأسه مفكرًا :

ـ « لا أستطيع أن أتبنى طريقتك فى التفكير .. من الممكن

أن يسقط أحدنا ميتًا الآن .. ولو أصيب القرد بسرطان غدًا فلا تتهمينى بأنى أخفيت عنك شيئًا .. »

كان هذا مطمئنًا كما ترى ..

كانت تتأهب لرحلتها الأولى ، وثمة جو عام من التوتر تسرب إلى نفسها شخصيًا .. قاعة مزدحمة بالفنيين وعبارات مضيئة على شاشات عملاقة ، وأصوات بمكبر الصوت .. الحقيقة أنها تخيلت دائمًا اللحظة السوداء التى تقرر فيها أمريكا بدء الحرب النووية .. لن يختلف الأمر عن هذا الشكل .. علماء يقطبون وجوههم وفنيون يركضون ذات اليمين واليسار ، وإضاءة تتغير كل ثانية .. لا تعرف الحكمة من هذا إلا لإضفاء جو درامى معين ..

وهى .. هى مركز هذه الضوضاء كلها .. لكنها كانت تعرف لماذا اختيرت .. ليس لأنها الأفضل .. بل لأنها هى .. (عبير) .. وهذه (فانتازيا) .. إذن لن يتم هنا اختيار الأفضل ، بل اختيار الفتاة المراد تسليتها ..

قال لها (جيمى) وهو يناولها قفازين ومعطفًا سميكًا :

- « بما أننا اتفقنا على أنك ذاهبة إلى روسيا فى ديسمبر ، فلا يوجد ما يمنع من أن تستعدى لهذا جيدًا .. لا أعتقد أن الجو كان أكثر دفئًا هناك منذ مائة عام .. »

قال لها د. (سلاتر) وهو يثبت قلنسوة صوفية على رأسها :

ـ « أبدو متفائلاً .. هكذا أفترض أنك فعلاً ستصلين هناك .. لكن لا أريد أن أخاطر بأن ننجح ثم تتجمدى بردًا جوار نهر (الفولجا) ... يذكرنى هذا بقصة القس الأمريكى الذى قرر إقامة طقوس صلاة المطر .. لقد غصت كنيسته بالمتدينين .. لكن هذا لم يرق له ، وقال لهم غاضبًا : لو كان بينكم من هو صادق الإيمان حقًا ، فلماذا لا أرى أحدًا قد جلب مظلة الأمطار معه ؟! »

ابتسمت للفكرة .. معنى هذا أن وضعها قلنسوة صوفية على رأسها دليل على إيمانها بكفاءة آلة الزمن ..

لماذا اختارت روسيا فى هذا التاريخ بالذات ؟

كان هذا اختيارها ؛ لأنهم تركوا لها الحرية كاملة .. هذا جزء من إثبات كفاءة الجهاز ..

كان هذا التاريخ هو تاريخ وفاة (راسبوتين) ذلك الرجل الرهيب الذى كثرت حوله الأساطير ، ولا تعرف لماذا ورد إلى ذهنها على الفور بمجرد أن طلبوا منها اختيار حادثة تاريخية معينة ..

لكن العقل الباطن له أسبابه الوجيهة .. ولقد فاتها أنها كانت فى فراشها منذ يومين ، وكانت فى حالة السنة التى هى يقظة نائمة أو نعاس متيقظ .. جوارها كان المذياع وكان سيل من الغناء ينبعث منه ، لكنها لاتستطيع تمييز أغنية واحدة .. التقط عقلها الباطن أغنية (بونى إم) القديمة :

را را راسبوتين ..

حبيب ملكة روسيا ..

را را راسبوتين ..

أعظم أداة حب فى روسيا ..

من العار أنهم تركوه يتمادى ....

وعلى الطريقة الفرويدية الشهيرة نسيت الأغنية ونسيت أنها سمعتها ، ولكن الذكرى أعلنت عن نفسها فى الوقت المناسب حينما سألوها :

ـ « أية حادثة تاريخية تريدين أن تريها ؟ »

ـ « مصرع (راسبوتين) ! »

تبادلوا نظرات الدهشة .. ذوق غريب حقًا .. كانوا يفضلون أن تختار حادثة أمريكية مهمة .. التاريخ الأمريكى الذى

لايتجاوز أربعمائة عـام جعلوه شديد الأهمية حافلاً بالأحداث ، كأنه التاريخ الأشورى مثلاً .. يعثر بعض المهاجرين الجائعين على ديك رومى فتتحول هذه المناسبة إلى عيد قومى هو عيد الشكر Thanksgiving ، أو يلقون بعض صناديق الشاى فى البحر فيصير هذا (يوم الشاى) .. وهكذا ...

على كل حال بحثوا فى مراجعهم وعرفوا التاريخ والساعة ..

عليها أن تراقب كل شىء .. تلتقط من الصور ماتستطيع ...

والنصيحة الأهم هى ألاتبقى هنالك أكثر من اللازم ..

ـ « بمجرد أن يموت التيس العجوز ، عليك أن ترحلى .. لانريد المجازفة .. »

وهكذا جلست (عبير) داخـل آلـة الزمـن ، ورفعت يدها المغلفة بالقفـاز بحركـة يمارسـها الطيـارون ، ومعناها أنها مستعدة وكل شىء على مـا يرام .. ثم بـدأت الضغط علـى الأزرار ..

وبدأت الرحلة العجيبة ...

* * *

3

عاش رجل ما فى روسيا منذ زمن بعيد ..

كان قويًا ضخمًا .. وفى عينيه بريق ملتهب ..

أكثر الناس كانوا يرمقونه بتوجس وخوف ..

لكن بالنسبة لحسناوات (موسكو) كان لطيفًا حبوبًا للغاية ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)



بدأ عرض الشرائح الضوئية ..

وهنا فقط خطر لها أنه كان من الأفضل لو التقطت صورًا متحركة .. لا تعرف لماذا لم يفكروا فى هذا لكنها الحقيقة .. على كل حال كانت الصور جيدة ، تظهر كل مراحل عملية القتل الشنيعة التى شاهدتها .. صور ملونة واضحة لا كتلك الصور الضبابية الزيتونية التى تميز أحداث أول القرن الماضى ، حين كانت الكاميرا تدعى (فوتوغرافيا) .. وعلى قدر علمها كانت هذه أول عملية قتل تتعاطف فيها مع القتلة لا الضحية .. السبب هنا هو أن الأمر كان أقرب إلى صيد الأسود ..

كان العلماء يراقبون الشرائح وهم لا يكفـون عن إطلاق الشهقات ..

وقال د. (سلاتر) فى نوع من خيبة الأمل :

ـ « على الأقل هذه الحادثة التاريخية دقيقة وتم تسجيلها بعناية .. إن التاريخ الذى نعرفه هو الذى حدث فعلاً .. هذا بسبب كثرة الشـهود للحادثـة .. يقولون إن الشـىء الوحيد المؤكد فى حياة (راسبوتين) هو وقائع موته .. »

قالت (عبير) باسمة :

ـ « ليس هذا ذنبى .. كنت أتمنى أن أكتشف أن (راسبوتين) هو الذى قتل الرجال أو أنه مات بنوبة قلبيـة .. لكنـى نقلت ما رأيت بأمانة .. »

ووقفت (عبير) ـ لحسن الحظ أنها متمرسة على مواجهة الجمهور بحكم المهنـة ـ وراحت تجيب عن الأسئلة التـى أمطروها بهـا .. لقد كـان الأمـر ذا شـقين .. كيـف كـانت الرحلة ، وماذا رأته فى تلك الرحلة ؟ وقد أجابت بكفاءة قدر الإمكـان حتى إنهم صفقوا لهـا بعد انتهاء شهادتها كأنها كانت تغنى ولا تتكلم ..

بعد المؤتمر وقفت تستجمع أنفاسها فدنا منها د. (جيمى دافنبورت) وهو يلوك قطعة من اللادن .. دس يديه فى جيبيه، وقال بلهجة ذات معنى:

- «كنت رائعة ..»

- «شكرًا .. أعرف هذا ..»

لم تكن قد تخلصت بعد من الشعور الممض بأن هذا (شريف) آخر، ومعنى هذا أنه خائن كذوب .. ربما وغد كذلك .. فيما مضى كانت هناك فتاة ساذجة اسمها (عبير) كان يكفيها أن ترى وجه (شريف) كى تمنحه ثقتها كاملة .. أما اليوم فقد ازدادت اكتئابًا وازدادت حكمة ..

قال لها على الطريقة الأمريكية:

- «هل أنت مرتبطة بموعد الليلة ؟»

- «ربما ..»

- «كنت أفكر فى عشاء فى مطعم صغير .. ربما بعض الرقص ..»

وكانت تعرف (طقوس المواعدة) الأمريكية هذه .. يقول الغربيون: اعثر عليهن .. ادعهن للعشاء .. حبهن .. اتركهن ...

كلا .. هى لا تبحث عن المغامرة ولا تبحث عن هذا النوع من العلاقات .. لماذا لا يسمح لها بأن تكـون امرأة مستقلة ذاتيًا لا تحتاج إلى الرجل فى حياتها ؟ هذا من حقها .. ربمـا لم يكن المجتمع الشرقى ليبتلع شيئًا كهـذا ، حيث لا بد مـن رجل ما : زوج أو أخ يأخذ نصيبًا مضاعفًا مـن اللحـم فـى الغداء ، أو عاشق ولهـان تتذمـر الفتـاة منـه لكنهـا تخفـى شعورها بالفخر كذلك .. هى الآن فى أمريكا .. وأيـة أمريكا ! أمريكا (فانتازيا) ذاتها ! سـوف تفعـل ما تريد وليس لأحد حق الاعتـراض .. بمعنى أدق لن تفعل أى شىء .. سوف تعيش حياتها بدون ذلك الكائن ثقيـل الظـل الذى تفوح منـه رائحة التبغ : الرجل ...

هكذا ابتسمت تلك الابتسامة العصبية التى تجدها فى أى أطلس طبى مـع شرح مـرض (الكزاز) .. مجرد تقلـص لزاويتى الفم لأعلى مع إظهار الأسنان كلها ، وقالت :

- « شكرًا على العرض .. سأضعك فى القائمة .. »

وتركته وانصرفت ....

* * *

فيما بعد عرفت (عبير) أنها تعيش فى (واشنطن) ..

شقة لا بأس بها أبدًا تدل على أن دخلها من الصحافة ليس متواضعًا على الإطلاق .. كانت تعيش وحدها طبعًا ولديها كلب صغير مرح .. إن العلاقة بين الأمريكى وكلبه علاقة معقدة حقًا فيها قدر لا بأس به من الاعتماد النفسى .. الكلب مرآة ترى فيها ما تريد أنت من انفعالات وعواطف .. وهذا يكفى فى هذا المجتمع المفكك الخالى من الدفء بطبيعته ..

قضت يومها تتلقى مكالمات هاتفية عديدة .. دور نشر كثيرة تريد مذكراتها عن التجربة التى قامت بها وما سوف يتلوها من تجارب أخرى .. نعم .. حتمًا هناك تجارب أخرى ، إلى أن يقرر العلماء صنع عدة آلات زمن وعدة فرق تمسح التاريخ مسحًا .. عندها يكتمل الغرض من المشروع ...

لكن د. (سلاتر) كان واضحًا : أنت ملكنا .. وما تعرفين ملكنا قانونًا .. لا يحق لك أن تنطقى بحرف عما رأيت أو عرفت إلا بإذن مسبق منا ..

قالت محتجة :

- « لكن اللسان ينزلق أحيانًا .. »

قال بلهجة لا أثر للمزاح فيها :

ـ « القـانون لا يتعامل بالنوايا الحسنة ولكن بالحقـائق .. تذكرى أن جزءًا كبيرًا من تمويل المشـروع قـام بـه البنتـاجون ، وبالتالى نحن نتكلم عــن سر حـربى مــن أسرار الدولـة .. لو ثرثر أحد العلماء بأسرار أسلحتنا السرية ، فإن المحكمة لن تعتبر ما حدث زلة لسان .. سيصير هذا العالم تاريخًا .. »

قالت متظرفة :

ـ « تاريخًا حقيقيًا أم مزورًا ؟ »

لكنه لم يضحك .. وهكذا تعلمت أهم دروسها .. عليها أن تظل صامتة مع هؤلاء القوم ، وبالتالى عليها أن ترفض كل عروض الثراء التى تنهمر عليها ...

أما عن البريد فقـد كــان أهم ما حصـلت عليه هو دعـوة للعشاء فى البيت الأبيض بعد يومين ..

لم لا ؟ إنهـا صحفية مهمـة ، ثـم اكتسبت أهمية أكثر بعد ما صارت أول رائد زمـن .. (يورى جاجـارين Yuri Gagarin) كان أول رائد فضاء .. هى أول رائد زمن .. إن هذه الدعوة أقل مما تستحق ...

وتنهدت .. إنها تجرب كل شىء فى (فانتازيا) بدءًا بالمزاح مع (سقراط) ومواجهة الكونت (دراكيولا) والموت برصاصة قاتل مافيا ، فلم يبق إلا تناول العشاء فى البيت الأبيض .. لكنها لا تعرف حقًا ما يجب أن تفعله ..

فى خزانة الثياب وجدت ثوبًا أسود أنيقًا يصلح للسهرة .. ووجدت لديها عقدًا ثمينًا يصلح كى تبدو ثرية ..

سوف تذهب .. ولتأمل ألا ترتكب أخطاء قاتلة هناك .. قيل لها يومًا إن وضع الشوكة والسكين والملعقة فى الطبق لغة خاصة يفهمها سادة البروتوكول .. تأمل ألا تضع هذه الأشياء الثلاثة فى وضع سباب أو تهديد أو شىء من هذا القبيل ..

هكذا يمكننا أن نفهم لماذا تجتاز (عبير) مدخل البيت الأبيض متأنقة بهذا الشكل ...

حاصرها بعض الصحفيين بأسئلة عديدة ، وقد أثار هذا حيرتها .. هى لم تلعب دورًا ذا أهمية ، ولو أنصف هؤلاء القوم لصار فريق علماء الفيزياء هو نجم الحفل وكل حفل ، لكنها كانت صالحة للعب دور النجم على كل حال .. جميلة مشرقة متألقة .. إنها واجهة المشروع البراقة ، بينما يتوارى

خلفها كل هـؤلاء العلمـاء كئيبـى المنظـر الذيـن انحنـت ظهورهـم وغلظـت عويناتهم حتـى صـارت أقـرب إلـى التلسكوبات .. هكذا الأمر فى كل شىء .. نجمـة الفيلـم المبهرة التى صارت حلم كل شاب ، تتألق عليها الأضواء ، بينما يقف المخرج الذى صنع كل هذا فى الظل .. (فاديم Vadim) صنع (بريجيت باردو) من المراهقـة الفرنسية الخرقاء الباهتة ، فصارت رمز فرنسا وأسطورة تمشى على قدمين ، بينما توارى هو وراء عويناته السميكة ، وراح يفتش عن فتاة أخرى يصنع منها نجمًا وهاجًا : (جين فوندا) ...

هذه هى قواعد اللعبة ولسوف تحسن التعامل معها ما دامت فى صفها ..

ـ « سيداتى سادتى .. رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .. »

ساد جو من التوتر بينما هى ترمق للمـرة الأولى الرجل الذى يحكم العالم ..

كان (جيمس باكستر) قصير القامة .. ربما أقصر مما يبدو فى الصور .. له ابتسامة بلهاء نوعًا .. ابتسامة تلفزيونية جدًا من تلك التى يجيد الممثلون اصطناعها ، لكن ما إن تبتعد الكاميرا عنه حتى يعود لتجهمه .. وقد اكتسب إحساسًا غريزيًا باللحظة التى تسلط فيها الكاميرا عليه ، فما إن

تفارقه حتى يريح عضلات فمه .. عامة كان أقرب إلى تاجر سيارات مستعملة منه إلى أى شىء آخر .. لكن من العسير أن ينظر المرء باستخفاف إلى الرجل الذى اجتاز غابة المصالح والتعقيدات المالية والمشاكل السياسية ، دون أن يخدشه غصن واحد ، ليصير أقوى رجل فى العالم ..

زوجته أيضًا أمريكية جدًا من طراز (حفلات الكوكتيل) و(القيم الأمريكية) إياه .. وتبدو أكثر طولاً منه .. عصابية جدًا ، وفى عينيها مزيج فريد من الذعر والمودة والقسوة .. يمكن أن تكون وديعة متى أرادت وشرسة جدًا متى أرادت .. يمكن أن ترى من عينيها أنها فعلاً تجاهد كى تبدو لطيفة ، لكن تفلت منها تلك النظرة التى يصفونها فى العامية بـ (يطق منها الشرر) ..

وجدت (عبير) من يهيب بها فى ذعر أن تتجه لتقابل الرئيس ..

دنت ببطء من الرجل الكبير ، فوجدت من يقدمه لها .. فاكتفت بأن هزت رأسها بحركة أنيقة ..

قال لها متبسطًا :

- « هاى (بيتى) .. لقد عرفت تفاصيل رحلتك الشجاعة إلى الماضى .. فلتحل بى اللعنة ! فقط أتمنى ألا تسلبنا مهنتك الجديدة صحفية بارعة .. لقد كنت أهوى مقالاتك .. »

(فلتحل بى اللعنة I'll be damned) عبارة تعجب تصدر عن الرئيس كثيرًا ، وتعتبر من العلامات المسجلة له .. قالت (عبير) فى حنكة :

ـ « سيدى .. إن الحلوف البرى يعود لحك جسمه فى لحاء الأشجار حتى لو أبعدناه عن الغابة عدة أعوام .. »

كانت هذه هى العبارة الراقية التى وردت لذهنها عفو الخاطر .. لكن يبدو أن هذا التشبيه العبقرى لم يرق لـ (باكستر) كثيرًا ؛ لأنه غير الموضوع سريعًا وثمة نظرة قاسية باردة التمعت فى عينى زوجته للحظة ..

قال الرئيس :

ـ « نعم .. أفهم ما تريدين قوله .. السمك لا يعيش طويلاً خارج الماء .. لكنى أريد أن تدرسى تاريخنا العظيم بعناية .. أريد أن تشاهدى اغتيال (لنكولن) .. نزول الحجاج .. يوم الشاى .. إعلان الاستقلال .. كل هذه التفاصيل لا بد من أن تتابعيها بعناية وتصوريها .. »

والتفت إلى زوجته وقال :

ـ « تصورى يا (إميلى) .. صورة كبيرة لتوقيع معاهدة إنهاء الحرب الأهلية .. صورة كبيرة نعلقها فوق المدفأة .. حقيقية وليست بريشة رسام .. فلتحل بى اللعنة ! »

قالت زوجته بطريقتها المصطنعة :

ـ « إنه معجب بالجنرال (جرانت) .. »

انتهت المحادثة القصيرة ، فجلسوا إلى المأدبة .. طبعًا وقف الرئيس يحكى عن (أطرف شيء حدث له فى رحلة الصيد الأخيرة) وكيف أن زوجته تفضل إضافة (الجنجر) إلى الكوكتيل .. الكل يضحك .. دعابات ظريفة جدًا كما يبدو لكن (عبير) لم تفهمها على كل حال ، ربما لأنها لم تفقد جزءها المصرى تمامًا ...

كانت هناك بعض الخطب ، ثم بدأ العشاء ..

فى نهاية الأمسية ـ التى لم تكن ممتعة جدًا ـ أشار لها الرئيس كى تدنو ..

قال لها فى مودة :

ـ « لك وضع استثنائى هنا .. إن زوجتى تراك لطيفة فعلاً ، وأنا أشاركها الرأى .. يمكنك أن تتصلى بى فى أى وقت ، أو أن تطلبى أية خدمة بعيدًا عن التعقيد الحكومى .. »

هزت رأسها معربة عن امتنانها لهذه المجاملة ، بينما عدسات الكاميرا تلتقط لها أكثر من صورة مع الرئيس .. ثم انصرفت ..

وفى السيارة التى أقلتها إلى دارها ـ الخاصة بالرئاسة ـ أغمضت عينيها وابتسمت ..

ليلة فى البيت الأبيض .. ليست بداية سيئة على الإطلاق ..



4

فى كل شئون الدولة .. كان الرجل المطلوب ..

لكنه كان كذلك رائعًا حين يكون مع فتاة ..

بالنسبة للملكة لم يكن ثعلبًا وصوليًا ، برغم أنها سمعت عما قام به ..

كانت تؤمن بأنه معالج مقدس ..

سوف يشفى ابنها ...

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

* * *

هناك لحظة ما فى حياة كل فتاة ، تلقى فيها رجلاً تعرف أنها ستتبعه إلى نهاية العالم لو طلب منها هذا ..

حسن .. كانت هذه اللحظة قادمة فى حياة (عبير) .. انتباه .. لا تستسلم للنعاس لو كنت قد فعلت .. إنها ستحدث بعد ساعة .. بعد نصف ساعة .. بعد ربع ساعة .. (عبير) ستلقى الرجل الجدير بها أو الذى هى جديرة به .. لا أعرف بالضبط ..

إنها عائدة لدارها بسيارتها الخاصة .. تتجه إلى المرآب تحت البناية ..

كنت أقول دائمًا إن هذه الأماكن عبارة عن أوكار لممارسة الجريمة أو الإعداد لها ، وكنت على حق .. تصور مكانًا مظلمًا خاليًا تتراص فيه السيارات ، وبتلك الطريقة التى تجعل من المستحيل عليك أن ترى الخطر ..

أغلقت سيارتها ومضت بين صفوف السيارات .. لاصوت إلا صوت كعبيها وهما يضربان الأرض الأسفلتية .. ولاضوء إلا ذلك البصيص الخافت فى نهاية الممر ..

هنا شعرت به .. كان خلفها .. كان يقترب .. التقطت حركته أجهزة الرادار الضامرة الموجودة فى مؤخرة رءوسنا والتى لاتعمل إلا فى لحظات خاصة جدًا ..

استدارت بسرعة لكنها لم تجد الوقت الكافى لأن يدًا غليظة وضعت على فمها ، وشعرت بشىء بارد على وريد عنقها الودجى ..

صوت كريه كالفحيح يخرج مع أنفاس تعبق بالخمر يقول لها :

ـ « الهدوء .. لو تصرفت كفتاة طيبة فلن يمسك أذى .. »

ثم - بقوة لا تصدق - يقتادها إلى ركن المرآب .. إن التعامل مع هذه القوة ليس عادلاً .. كأنها تحاول إيقاف بلدوزر بيدها .. هذا الرجل لم يكن بحاجة إلى سلاح أصلاً ...

قالت هامسة :

- « الحقيبة .. إن بها مالاً .. »

قال وهو يلهث كخنزير برى :

- « نعم .. نعم .. المال آخر شىء .. »

كانت أفكارها مختلطة لا تعرف ما يجب عمله .. لماذا لم تلتحق بتلك المدرسة للدفاع عن النفس ؟ إن المرء يكتشف حاجته إلى أشياء بعد فوات الأوان ...

الأفكار تتسابق فى ذهنها .. هنا رأت ذلك الرجل الآخر يتقدم فى ظلال المرآب ...

كان فارع القامة لم تتبين وجهه ، لكنها قدرت أنه سيتصرف على الطريقة الأمريكية .. سيتظاهر بأنه لم ير شيئًا .. هنا يعتبر إنقاذ فتاة فى مأزق نوعًا من التدخل فى أمور لا تخصك ، يصل إلى درجة الوقاحة ...

لكن الرجل دنا أكثر .. كان فارع القامة على قدر من الوسامة .. هذا ما استطاعت أن تتبينه في الإضاءة الخافتة .. وكان ينظر إلى مهاجمها الذى لم تره قط ..

قال الوحش الذى يضع النصل على عنقها :

ـ « ابتعد يا سيد ولن يصيبك أذى .. اهتم بشأنك الخاص لتتمتع بصحة طيبة .. »

المزيد من رائحة الخمر يخنقها .. دعك من رائحة العرق تحت إبطيه .. لماذا لا يستحم هؤلاء قبل مهاجمة الأبرياء ؟ إن هذا يجعل العذاب مضاعفًا ..

قال الرجل القادم بثبات :

ـ « وأنا أقدم لك عرضًا أفضل .. يمكنك أن ترحل من هنا قطعة واحدة لو أطلقت سراحها حالاً .. »

كان صوته عميقًا رخيمًا ، لكنها أدركت أن لهجته ذات طابع أوروبى لا شك فيه .. هل هو ألمانى ؟

ـ « ابتعد يا سيد وإلا انتهيت منها ثم جاء دورك .. »

قال الغريب الواقف فى الظلال :

ـ « وأنا آمرك بأن تقتلها حالاً .. لو لم تفعل لأتيت وانتزعت رأسك من فوق عنقك .. »

هذا غريب ! لا تستفزه أيها الأحمق ..

بقيت ثلاث دقائق ..

لم يعد ثمة مفر لها .. إنها ستلقى الرجل الذى تتمنى أن تتبعه إلى الأبد ...

دقيقتان ...

الوحش الذى يمسك بها يتردد .. يرخى النصل عن عنقها .. واضح أنه لا يريد القتل ..

- « قلت لك اقتلها .. أنت مجرد جبان آخر يتظاهر بالشجاعة .. لا تملك الأحشاء لتفعل ذلك .. »

من الغريب أن النصل يبتعد عن عنقها بسرعة أكبر .. فكا الملزمة الحديدية ينفتحان فتشعر أنها تحررت .. تتراجع للوراء وتنظر لمهاجمها فتدرك أنه وحش آدمى لا يوصف .. لو لم يكن بهذه الثياب لحسبوه خرتيتًا فى حديقة الحيوان ..

لكن الوحش لدهشتها يرتجف .. يقول للقادم :

- « لقد أطلقت سراحها .. الآن دعنى أمضى .. »

- « ليس بعد .. »

وقبل أن تفهم ما يحدث كان القادم فارع القامة قد وثب وثبتين نحو الوحش الذى هاجمها .. ارتفع حذاؤه ذو الرقبة فى الهواء ليدفنه فى بطن الوغد ، وقبل أن ينثنى الوغد المذكور حول نفسه ألمًا بالكامل ، كانت قبضة منقذها تهشم فكه .. عرفت هذا لأنها سمعت صوت الـ (شلينك) .. أما الضربة التالية فكانت على حنجرته حين رفع رأسه لأعلى ليصرخ ..

هكذا ـ وبثلاث ضربات ـ تكوم الخرتيت الآدمى على الأرض .. لم يكن يتلوى .. لم يكن يئن .. لقد انتهى على الأرجح .. أو هذا ما سيحدث لو لم يسعفه أحد خلال ثانيتين ..

قال لها القادم :

ـ « جميل .. والآن تعالى نبتعد .. على الأرجح ستكون لدى الشرطة أسئلة كثيرة .. »

وانطلقا يركضان هاربين من المرآب ...

انتهى الوقت .. لقد صارت فى قبضته الآن ...

* * *

فى الضوء استطاعت أن تراه بطوله الفارع وبنيانه المتين .. لم يكن جميلاً لكن له وجهًا عظيم التأثير .. له عينان واسعتان قويتان ووجه حليق بعناية .. أما عن ثيابه فكانت من (الجينز) لا يميزها شىء ..

قالت له بصدق وحرارة :

- « أشكرك .. فلو لم تظهر .... »

ببساطة قال وهو يتأبط ذراعها :

- « ليس المهم أن أظهر .. المهم أن أفعل .. كنت أوقف سيارتى فى المرآب قبلك بدقيقة حين رأيت المشهد .. هناك أشياء لا أتحملها .. »

كانت أضواء الليل تلتمع على مجموعة من المحلات ، فقال لها :

- « هل تناولت عشاءك ؟ ما رأيك فى شطيرتين من اللحم البقرى ؟ »

- « تعنى الهامبرجر ؟ لا بأس .. »

اجتازا المدخل إلى أحد هذه المطاعم ، هو مزيج من مطعم وناد ليلى .. مع رجل له هذا البنيان المتين يمكنها أن

تكون مطمئنة .. فهذا المكان لا يخلو من الرعاع خاصة فـى ساعة كهذه .. لقد وقف لحظة على المدخل ونظر للجالسـين نظرة واحدة فعكفوا جميعًا يواصلون ما قاموا به .. لو كـانت وحدها لتحرشوا بها بلا شك ..

جلس إلى منضدة وجاءت ساقية خشنة خالية من الأنوثة من الطراز الذى يدس القلم خلف أذنه ، فقال لها :

ـ « نريد شطيرتين من اللحم البقرى .. »

ـ « تعنى الهامبرجر أيها الرجل الضخم ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. والكثير من النبيذ .. »

قالت (عبير) فى تهذيب :

ـ « أنا لا أشرب .. سأتناول بعض الكولا إن لم تمانع .. »

ضرب المنضدة بقبضته وهتف :

ـ « هلمى أيتها الحسناء .. لقد سـمعت مـا طلبتـه الآنسـة .. إن الخدمة عندكم بطيئة فعلاً .. »

ثم عقد يديه العملاقتين تحت ذقنـه ، ونظر لـ (عبير) باسمًا ..

سألته (عبير) وهى تتأمل تقاطيعه القوية :

- « إذن ؟ من أنت ؟ لا تبدو لى أمريكيًا .. »

- « أنا ألمانى .. اسمى (بيتر كاوفمان) .. جئت إلى الولايات منذ عشر سنوات .. »

- « وهل تمارس عملاً ما غير (الفارس الليلى) الذى ينقذ الفتيات ؟ »

- « أنا طبيب نفسانى .. »

كان هذا غريبًا .. للمرة الأولى تلقى طبيبًا نفسيًا لا يمكن ضربه .. طبيبًا نفسيًا لا يبدو أن عنده وقت لفتح أى كتاب ، وبالتأكيد هو لا يعانى مشكلة نفسية ما .. هذه شخصية منفتحة بعنف ..

جاءت الساقية بالشطائر والشراب ..

وفى دهشة راقبت (عبير) كيف يلتهم الشطيرة مرة واحدة على طريقة (مسح الزور) المصرية الشهيرة ، ثم راح يشرب النبيذ من الزجاجة مباشرة .. ومسح فمه بيده الكبيرة ، فمدت يدها تضع شطيرتها أمامه :

- « لست جائعة إلى هذا الحد .. »

لابد أن التمثيل الغذائى لهذا الجسد العملاق عـال جدًا .. معنى هذا أنه يقضى اليوم كله فى البحث عن طعام كما يفعل العصفور .. ومـن الغريب أن هـذا راق لهـا .. الرجل الذى لا يتظاهر بالرقة عند موعده الأول مع فتاة حسناء هو رجل من طراز نادر .. كـانت لها فـى مصر صديقـة خطبت إلـى شاب رقيق مهذب ، وبعد الزواج أصابها الهلـع حين رأتـه يكرع الملوخية من الطبق مباشرة ثم يتجشـأ ، ويدس عود ثقاب فى أذنه ، ويعبث باللقيمات بين أسنانه .. سألته : أيـن ذهبت رقتك السابقة ؟ هل كنت تمثل ؟ كانت إجابته : لم أكـن أمثل .. لكنى لست مطالبًا أن آكل دجاجة نيئة أمامك وأصفع الأطفال وأخنق القطط فى أول لقاء كى أقنعك بصراحتى ..

دوت موسيقا صاخبة فوقف بعـض الشباب يهتزون مـع الإيقاع كأنهم دمى ماريونيت معلقة من خيط واحد ..

هنا بدت الحماسة علـى الرجل .. بدأ يهتز مـع الإيقـاع بدوره ثم قال لها وهو يصفق :

ـ « هلمى .. فلنرقص .. »

تهز رأسها أن لا .. فيتركها .. إنه فى حـال مـن الحماس لا تسمح بالمجاملة ..

يتوسط الشباب .. بينما يدوى الإيقاع القوى من الأرض ذاتها حتى لترتج له أحشاؤك وقلبك .. ويدوى صوت مغنى فريق (كوين Queen) :

يا صديقى أنت صبى تحدث جلبة عالية ...

تلعب فى الشارع .. لكنك ستغدو كبيرًا يومًا ما ...

الوحل على وجهك .. شكلك مشين للغاية ..

تركل علبتك الصفيح فى كل مكان ..

سوف نجعلك .. سوف نجعلك ترقص الروك ..

إنه يتلوى .. يرفع ساقه اليمنى .. يرفع ساقه اليسرى .. يثب فى الهواء ..

يا صديقى أنت شاب شديد المراس ..

تصرخ فى الطرقات حاسبًا أنك ستملك العالم يومًا ما ..

الدم على وجهك .. شكلك مشين للغاية ..

تلوح باللافتة العملاقة التى تحملها فى كل مكان ..

سوف نجعلك .. سوف نجعلك ترقص الروك ..

إنه يثنى ركبتيه ليمشى فى وضع الاحتباء .. إنه ينقل ساقيه ويعقد كفيه .. إنه يثب .. يزحف على الأرض ..

يا صديقى أنت شيخ مسن ..

تتوسل عيناك كى تجدا بعض الراحة والسلام فى مكان ما ..

الوحل على وجهك .. شكلك مشين للغاية ..

لسوف يضعك أحدهم حيث تستحق ..

سوف نجعلك .. سوف نجعلك ترقص الروك ..

إنه يرسم على وجهه أمارات النشوة .. الألم .. الفرحة .. الحزن .. إنه يرقد على ظهره .. إنه يحرك ساقيه كالعجلة .. إنه يستند على ذراع واحدة ويدور كالمحراث .. إنه ينهض .. إنه يركع .. إنه يجثو .. إنه يثب .. إنه يركض .. إنه يمشى .. إنه ينعس .. إنه يصحو ..

سوف نجعلك .. سوف نجعلك ترقص الروك ..

سوف نجعلك .. سوف نجعلك ترقص الروك ..

وكان الجميع قد كفوا عن الرقص ، ووقفوا فى حلقة يراقبون هذا العملاق الذى يرقص كما لم يروا أحدًا يرقص ..

المغناطيسية التى بعثها من حوله جعلت الجميع غائبين عن الوعى..

وفى سرها همست (عبير) : إنه لى !

مهما حدث سيعود إلى هذه المائدة بالذات ويتكلم معى بالذات ...

★ ★ ★

5

ولكن حين عرف المزيد من الناس شأن إدمانه الخمر ..

وشهواته ..

وتعطشه للسلطة ..

تعالت الأصوات المطالبة بعمل شيء ضد ذلك الرجل المشين ...

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

★ ★ ★

كانت علاقتها تزداد ارتباطًا بـ (بيتر كاوفمان) ..

حقًا لا تعرف السبب فهو لم يكن قط من الطراز الذى يروق لها ، لكن كان هذا الرجل يملك طاقة حياة مذهلة ، بالإضافة إلى تلك القوة المغناطيسية التى يصل بها إلى أى شىء .. أحيانًا يطلقون عليها (الكاريزما charisma) .. وفى السينما الأمريكية يطلقون عليها اسم (أومف) ..

كانت تتذكر فى استمتاع طريقته فى الرقص .. وتفكر : ثمة شىء مألوف فى هذه الطريقة .. لكن ما هو ؟

على أنها لم تنكر لحظة أنها صارت فى شباكه بالكامل .. لكنها لا ترغب فى التحرر ..

لقد دخل حياتها رجل فى اللحظة التى قررت فيها أنها لن تسمح لأحد على الإطلاق .. حتى ذكر البعوضة .. بأن يدخل حياتها .. ومن الغريب أنها سعيدة بهذا ...

الأهم أنه يوليها الاهتمام ذاته .. كانت جالسة معه ذات مرة فى مقهى صغير حين ظهر آخر شخص تتمنى أن تراه الآن .. (جيمى دافنبورت) .. شبيه (شريف) وقائد الفريق الطبى .. المتودد الأبدى الشبيه بذبابة لا ترحل أبدًا ..

لقد جاء وحياها ، ثم تبادل نظرة سريعة مع (بيتر) .. ومن دون كلمة أخرى جذب مقعدًا وجلس ..

وبسماجة قال :

- « ماذا تأكلان ؟ »

قال (بيتر) بلهجته الثقيلة الأوروبية نوعًا :

- « هل تعرف أمك أنك خرجت يا صغير ؟ »

لم يتصور (جيمى) أن يهان بهذه السرعة ، فرفع عينيه وثبتهما فى عينى (بيتر) الثاقبتين وقال :

- « شكرًا .. هذه أمور عائلية لا تعنيك فى شىء .. »

قال (بيتر) وهو يقلب السكر فى القدح (هذا الرجل يشرب ويأكل كميات هائلة من السكر) :

ـ « إذن لماذا لا تبحث عن منضدة أخرى ؟ »

ـ « شكرًا للنصيحة لكن من المصادفة أن (بيتى) زميلة عمل .. ومن حقى أن أجلس معها ما دمت لم تضع بطاقتك عليها .. وما دامت هى لم تطلب .. »

واصل (بيتر) تقليب السكر .. ثم قال دون أن يرفع عينيه عن الرجل الجالس أمامه :

ـ « عندما أطلب أنا شيئًا فعليك أن تنفذه .. لا تنفذه فقط بل تسعد به .. »

ـ « حقًا ؟ إذن لماذا لا أشعر بهذه السعادة ؟ »

ـ « لأن سترتك متسخة ! من الصعب أن تشعر بشىء آخر عدا الحرج ! »

قالها وفى اللحظة ذاتها قذف محتويات القدح كلها فى اتجاه (جيمى) .. السائل الأسود اللزج ـ والساخن للأسف ـ يغطى السترة كلها .. وهكذا وثب (جيمى) صارخًا كأنما هو ملدوغ ، وصرخ فى هستيريا :

ـ « أنت مريض نفسى .. (سايكوباث) حقيقى ! »

قال (بيتر) ببرود :

- « ربما .. لكنى سايكوباث بثياب نظيفة .. قلت لك إن أمك ستغضب .. »

كور (جيمى) قبضته ، فصاحت (عبير) فى هلع وقد أدركت أن الأمور ستتطور إلى مأساة .. معنى دخولك فى صراع مع هذا العملاق هو مذبحة تنتظر أن تحدث .. لن يكون (جيمى) أكثر من قطة صغيرة فى قبضة خرتيت ..

- « (جيمى) .. أتوسل إليك أن تبتعد .. قدم لى هذه الخدمة على الأقل ! »

نظر إلى (بيتر) مليًا .. ثم نظر لها .. ويبدو أنه بدأ يقدر حقائق القوة على الأرض .. لو أطبقت على عنقه هذه اليد فلسوف يكون الأمر خطرًا ..

هكذا أخرج منديلاً وراح يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه .. ثم قال لـ (بيتر) :

- « الأيام بيننا أيها المهاجر .. »

وابتعد ...

قالت (عبير) لـ (بيتر) وهى تتنفس الصعداء :

- « الحمد للّـه .. بالمناسبة أنت عصبى جدًا .. لا أرى ما يمنع فى أن تسمح له بالجلوس .. »

قال فى ازدراء وهو يضرب المنضدة :

- « رجل صغير حقير .. دعينا من هذا الهراء .. هنـاك خدمة أريدك أن تقدميها لى .. »

خدمة له هو ؟ يبدو مكتفيًا ذاتيًا لا يحتـاج إلـى شـخص خارج حدود ذاته .. هذا هو السوليبسزم solipsism الحق .. لهذا رفعت حاجبيها متسائلة فقال :

- « الرئيس .. أريد مقابلة الرئيس .. »

- « رئيس الولايات المتحدة ؟ »

- « نعم .. أعرف أن لك صداقة خاصة معه .. أعتقد أنك تستطيعين تدبير شأن كهذا .. »

قالت وهى تفكر مليًا :

- « لا أعرف حقًا .. لا بد من سبب قوى على الأقل .. »

- « قولى إن لدى أشياء مهمة يجب أن يعرفها .. قولـى إننى أعرف كل شىء عن (شاكو) .. »

- « (شاكو) ؟ »

- « نعم .. »

لم تكن قد سمعت هذا الاسم من قبل ، لكنها قدرت أنها (العلامة) .. العلامة التي ستجعل الرئيس يوافق على الفور .. كان الطلب عسيرًا خاصة وعلاقتها بالرئيس ليست حميمة إلى هذا الحد ، لكن عينى (بيتر) القويتين جعلتاها تعرف أنها ستفعل ..

بالتأكيد ستفعل ...

★ ★ ★

فى الأيام التالية خاضت (عبير) رحلتين بآلة الزمن .. الأولى كانت للقاء (كليوباترا) الشهير مع (يوليوس قيصر) ، وقد غيرت هذه الزيارة حقائق تاريخية مهمة ، والزيارة الأخرى كانت ليوم الشاى فى (بوسطون) .. إن كل زيارة من هاتين تستحق كتيبًا كاملا لكن ليس هذا موضوعنا على كل حال .. دعك من أن الزيارة الأخيرة تم التعامل معها بسرية ؛ لأنها لا تظهر الأمريكان بالبطولة التى يتصورونها عن أنفسهم .. هنا فقط يصحو الرقيب الأمريكى الذى قيل إنه نائم أو ميت ، ويتم التعامل مع الأمر بسرية صارمة .. يجب أن نتذكر هنا أن متاجر الفراء فى مركز التجارة العالمية تم نهبها لحظة حدث 11 سبتمبر الرهيب ، وأن المتهم الوحيد هو رجال إطفاء (نيويورك) الأبطال ، لهذا تم حجب هذه القضية تمامًا عن الصحافة ولم يجر أى تحقيق ..

نعود لقصتنا إذن ..

كان رد فعل الرئيس مذهلاً حين أخبرته بأمر الرجل الذى يريد أن يكلمه عن (شاكو) .. لقد نزع عويناته أكثر من مرة، وعاد يضعها .. ثم نظر لها بدهشة .. وعاد يكرر ما قالته :

ـ « (شاكو) ؟ فلتحل بى اللعنة ! متأكدة من أنه تكلم عن (شاكو) ؟ »

ـ « هذا ما قاله يا سيدى .. »

ـ « هذا غريب ! »

وتبادل نظرة ذات معنى مع امرأته .. ثم قال لـ (عبير) :

ـ « وما عمله ؟ »

ـ « يقول إنه طبيب نفسانى .. لقد جاء من ألمانيا ولم يولد فى الولايات .. »

فكر قليلاً وحك ذقنه عدة مرات ثم قال :

ـ « بالطبع أريد أن أرى هذا الرجل .. »

لسبب ما كانت تعرف أن هذا اللقاء سيتم .. إن (بيتر) يعرف ما يتكلم عنه ..

وحين وصلت إلى البيت الأبيض فى الموعد أخيرًا مع (بيتر) العملاق غريب الأطوار، سألها فى قلق قبل أن يجتاز المدخل:

- «كيف أبدو ؟»

كانت هذه هى المرة الأولى التى تراه فيها من دون الجينز .. لقد اعتادت منظره الأول وصارت تراه أنيقًا جميلاً لهذا لم تحب قط منظره الجديد .. لقد رأت أعيان القرى وكيف يكونون فى ذروة هيبتهم وجلالهم بالجلباب، فإذا ارتدوا البذلة بدوا مضحكين .. لهذا قالت له بكياسة:

- «تبدو مهرجًا ..»

- «أعرف هذا .. لكنهم لن يسمحوا لى بلقاء الرئيس بالجينز .. لقد استأجرت هذه البذلة ..»

وانتظرت بصبر حتى انتهت إجراءات التفتيش المعقدة، ثم اقتادهما رجلا أمن إلى المكتب البيضاوى .. لست متأكدًا إن كانت هذه هى طقوس مقابلة الرئيس الأمريكى .. لكن هذا هو ما تخيله (دى جى) عن الموضوع على كل حال ..

بعد قليل دخل الرئيس ومعه زوجته .. كان يحمل كلبه الصغير ويرمق القادم بفضول .. أما (بيتر) فظل ثابتًا شامخًا لا يفعل ولا يقول أى شىء ..

حياها بهز رأسـه ، وهنـا لاحظت (عبير) أن الزوجة لم ترفع عينيها عن القادم لحظة .. من هو (شاكو) هذا وما أهميتـه ؟ هذه الكلمة فجرت لغمًا من الاهتمام لدى الزوجين ..

قال الرئيس لأحد الحارسين :

ـ « إن الآنسة لم تر مجموعة أطبـاق (إليانور روزفلت) .. أعتقد أنهـا شغوف برؤيتهـا .. أريدكمـا أن تصحباهـا هنـاك وتسمحا لها برؤية كل شىء .. إن راحتها تهمنى حقًا .. »

إذن جاء وقت التخلص منها .. لو لم نكن فى البيت الأبيض لوصفنا ما يحدث بأنه (زحلقة) أو (توسيعة) .. طبعًا لن نستعمل ألفاظًا سوقية كهذه هنا ، لذا نكتفى بالتلميح .. وهكذا امتثلت للأمر ونهضت بينما انغلق باب المكتب البيضـاوى خلفها على الرئيس وضيفه الخارق للعادة ...

وبعد ساعة من مشاهدة ألعن مجموعة أطباق فى التاريخ ، جاء من يخبرها إن الرئيس يتمنى لها وقتًا طيبًا ، ويأسف لأنه لا يستطيع القدوم لتوديعها لأنه مشغول ..

إذن هو الطرد .. لو لم نكن فى البيت الأبيض لوصفنا ما يحدث بأنه قلة تهذيب .. لكننا سنحافظ على ألفاظنا قدر الإمكان كما يقضى البروتوكول وننصرف فى هدوء ..

لكنها شعرت بنوع من الإهانة وهى تغادر المكان وحدها ..

شعرت بأنها إلى حد ما كانت وسيلة لا غاية .. لقد استعملها (بيتر) للوصول إلى هذا المكتب .. وبعد هذا انتهى أمرها بالنسبة له .. كالعاشق الذى يقدم حبيبته لصديق عمره ، ثم يفاجأ بأنهما صارا حبيبين على الفور .. شىء فى هذا كله يذكرها بقصة (سيرانو دى برجيراك Cyrano de Bergerac) .. طبعًا كان الوقت مبكرًا جدًا كى تتهم (بيتر) بأشياء من هذا القبيل ..

لكن الأيام التالية برهنت لها على أنها عبقرية ...

* * *

6

حكم الأرض الروسية ولم يبال بالقيصر ..

لكن (الكازاتشوك) التى يرقصها كانت مذهلة ..

را را راسبوتين ..

حبيب ملكة روسيا ..

را را راسبوتين ..

أعظم أداة حب فى روسيا ..

من العار أنهم تركوه يتمادى ...

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

* * *

إنه الأسبوع الثالث .. لم يتصل بها .. لم يأت لدارها ..

لقد تلاشى (بيتر كاوفمان) من حياتها تمامًا ..

لا تعرف السبب ولا تفهمه ، لكنها قدرت ما عرفته منذ البداية : هى كانت وسيلة .. مجرد طريقة وجدها هذا الـ (بيتر) للاتصال بالرئاسة وراحت البارانويا تؤدى عملها

معها .. من يدرى ؟ ربما كانت محاولة الاعتداء عليها فى المرآب مجرد مسرحية تم الاتفاق عليها مسبقًا .. الطريقة الأثيرة لدى الأفلام العربية حين يحاول فتى أن يتعرف فتاة فيتفق مع متطفل ضخم الجثة كى يتحرش بها ، ثم فى اللحظة الأخيرة يظهر هو و(بوم ـ طاخ) يحطم أنف المعتدى وينال حب الفتاة .. وتذكرت منظر المهاجم المكوم على الأرض .. لا بد أنه نال مبلغًا لا بأس به بالإضافة إلى تمثيله المبدع ..

لكن لماذا ؟ هل هى الطريقة الوحيدة أو المثلى للوصول إلى الرئيس ؟ هى لا تعرف السبب لكن ربما كان الأمر كذلك ..

وقد شاهدت فى التليفزيون الرئيس أكثر من مرة ، هنا أثار ذهولها أن (بيتر) بدا فى ركن الصورة واقفًا وسط رجال الأمن .. لا لم يكن يضع السماعة فى أذنه ولم يكن ينظر من حوله بتلك النظرة القلقة المتوترة المميزة لكلاب الصيد ، بل كان يقف وقفة راسخة كأنه من عتاة رجال البروتوكول ..

ما معنى هذا ؟ كيف انخرط وسط رجال الرئيس بهذه البساطة ؟

وفى الصحف رآته أكثر من مرة فى خلفية الصور .. كان موضعه غير بارز إلى حد مستفز يدفع الصحافة للتساؤل ، لكنه كان واضحًا بما يكفى ..

كانت الأسئلة تملأ رأسها بشكل غير مسبوق ..

وجاءتها الفرصة فى الجريدة التى تعمل بها .. أنت تعرف أن هناك جريدة دائمًا ، وأن (عبير) قضت أكثر وقتها فى (فانتازيا) كصحفية .. تلك المهنة التى تجعلك كثير الاتصالات عالمًا بالأخبار قبل سواك .. ولأسباب كهذه تكون الشخصية السرية لأكثر أبطال القصص المصورة المقنعين هى شخصية صحفى ، منذ فتح (كلارك كنت) الدرب لمن بعده ..

كان هناك رجل متأنق أشيب لا ينزع عويناته السوداء أبدًا يمشى فى الممر ، وقد عرفته على الفور ..

ـ « (ديك) ! »

طبعًا (ديك) هو (ريتشارد) بلغة التدليل الأمريكية ، و(ريتشارد) هذا من عشاقها القدامى الذين لم تمنحهم رضاها قط .. إن دورها فى (فانتازيا) يتكرر كثيرًا كمحطمة قلوب الرجال ، ويبدو أن هذا مفيد أحيانًا ...

رآها فتهلل وجهه وأشرق وهتف :

ـ « يا للسماء ! إن لم تكن هذه (بيتى دانييلز) ذاتها ! »

(ريتشارد كيلرمان) هو المستشار الصحفى للرئاسة .. وبالطبع لابد أن تنعقد بينهما صداقة ما بصفتهما يجتمعان على المهنة ذاتها ، دعك من أنه ما زال يراها أجمل امرأة فى العالم .. وهى بالفعل كذلك كما رأت نفسها فى انعكاس عويناته السوداء ..

تبادلا حديثًا سريعًا عما فعل الزمن بهما .. ثم دعاها - كالعادة - إلى الغداء فى مطعم قريب فوافقت على الفور ...

صب الكثير من (الكتشاب) داخل شطيرته وعلى البطاطس الفرنسية ثم ناولها الزجاجة وقال :

- « أتابع رحلاتك إلى الماضى .. إن هذا الحدث قد هز التاريخ .. »

قالت فى تواضع :

- « كنت أتمنى أن يكون لى دور فى هذا .. أنا مجرد شخص يركب السيارة لكن لا فضل له فى اختراعها أو تطويرها .. »

- « دعى أحمق أو غبيًا يركب هذه السيارة ولسوف يأتى التقرير غبيًا مملاً .. أنت تحكين التاريخ بطريقة تعطيه بريقًا حقيقيًا .. »

دار الحديث بضع دقائق ثم قررت أن تسأله برفق .. لو تراجع أو خاف فلن تكون لديها فرصة للإعادة .. هذه فرصتها الأخيرة إذن ..

قالت فى كياسة :

ـ « هناك وجوه كثيرة جديدة حول الرئيس هذه الأيام .. »

نظر لها بشفتين ملوثتين بالكتشاب وقال :

ـ « لا أرى هذا .. من تعنين ؟ »

ـ « ذلك الرجل فارع القامة حاد النظرات .. إن اسمه (بيتر) .. كنت أنا من قدمه للرئيس .. »

هتف فى حماسة :

ـ « ذلك الرجل الغامض ؟ (راسبوتين) ؟! »

هنا تصلبت ..

ـ « ماذا تقول ؟ »

ـ « قلت (راسبوتين) .. »

نعم .. لماذا لم تعترف لنفسها بهذا من قبل ؟ قامته الفارعة .. عيناه .. رقصته فى المطعم .. ألم تكن هذه رقصة (الكازاتشوك kasachok) ؟

★ ★ ★

إنه يثنى ركبتيه ليمشى فـى وضـع الاحتبـاء .. إنـه ينقل ساقيه ويعقد كفيه ..

★ ★ ★

لكن (الكازاتشوك) التى يرقصها كانت مذهلة ..

را را راسبوتين ..

حبيب ملكة روسيا ..

★ ★ ★

قالت فى حيرة :

ـ « لماذا تطلق عليه هذا الاسم ؟ »

قال ضاحكًا :

ـ « كل شىء فيه يذكرنا بـ (راسبوتين) .. هذا هو الاسم الذى يطلق عليه خلسة فى أوساط البيت الأبيض .. الرئيس معجب به حقًا .. السيدة الأولى تعتقد أنه عبقرى .. إنهم يقحمونه فى كل شىء .. »

راحت تلوك الطعام ببطء شأن من يفكر ، ثم سألته فجأة :

ـ « هل تعرف من هو (شاكو) ؟ »

قال من دون حذر ومن بين شفتيه الملطختين بالكتشاب :

ـ « تعرفين هذا أيضًا ؟ »

ـ « من هو ؟ »

ـ « هى .. ابنة الرئيس .. هذا هو اسم التدليل الذى لا يعرفه سوى ثلاثة أو أربعة .. أنا أعرف الاسم طبعًا .. كما أعرف حقيقة مرضها .. »

كادت تتساءل فى ذهول عن هذا المرض ، ثم قدرت أنه أحمق .. مصادفة طيبة هى أن يعهدوا بمهنة المستشار الصحفى لأغبى حمار قابلته فى حياتها ، وهو رجل لم يعرف بعد حقيقة أن اللسان فى مكان مبلل ويسهل أن ينزلق .. من الخير ألا تظهر أنها تجهل أى شىء ، لذا هزت رأسها هزة محايدة .. فأردف المستشار الصحفى :

ـ « إنه مرض نادر ناجم عن نقص بروتين يعمل على تجلط الدم .. »

ـ « تعنى الناعور (الهيموفيليا Hemophilia) ؟ »

قال ضاحكًا :

ـ « لا .. لا .. الهيموفيليا ليست مرضًا نادرًا ولا صعبًا ..

ما أتكلم عنه مرض جينى نادر جدًا .. إن الفتاة تنزف كميات هائلة من الدم أسبوعيًا من كل فتحات جسدها .. وهى تتلقى جرعات هائلة من مضادات التجلط .. طبعًا نتكتم نحن أشياء كهذه، لأن ابنة الرئيس يجب أن تبدو أمام الصحافة سليمة كالجرس .. تكلمى عن مرض نادر أصيبت به ابنته ولسوف تمتلئ الصحف بالتكهنات، ولسوف ينبرى أعداؤنا السياسيون بالقول إن هذا دليل على خلل جينى فى الرئيس نفسه، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة تقف على قاعدة مهتزة .. »

سألته فى فضول :

- « وهذا القادم الجديد ؟ هل له دور هنا ؟ »

قال وهو يجفف شفتيه :

- « طبعًا .. إنه معالج روحى بارع، وقد أجرى عدة جلسات مع (شاكو) ويقال إن النتيجة مذهلة .. »

ثم ضحك والتمعت عيناه :

- « ألم أقل لك إنهم يطلقون عليه اسم (راسبوتين) ؟ »

★ ★ ★

عبثًا حاولت الاتصال بالرئيس عدة مرات ..

لقد انغلق الطريق فى وجهها ، وصار الأمر عسيرًا حقًا ..

هكذا قررت أن تنسى القصة برمتها وأن تتفرغ لعملها ..

على كل حال لم يحدث شىء أسوأ من أن فتاة مراهقة بدأت تشفى من مرض نادر .. ربما كان هذا ـ وهو الأرجح ـ دور الإيحاء .. لكن النتيجة واحدة ..

ترى ماذا تفعل الآن أيها العزيز الكريه (بيتر كاوفمان) ؟



* * *

7

جلست فى آلة الزمن تنتظر رحلتها القادمة ...

كان العلماء يقومون بما يقومون به كل مرة من ضبط العدادات ومراجعة بعض القياسات ، دعك من عملية صيانة آلة الزمن نفسها .. إن آلة تعبر الزمن تحتاج بالتأكيد لما هو أكثر من استبدال الزيت وإعادة ملء الرادياتور بالماء .. وكانت الحركة صاخبة كالعادة .. أشخاص لا تعرف دورهم يجرون من هنا لهناك وقد تجهّم وجههم بما يوحى بأن مهمتهم خطيرة جدًّا ..

جاءها د. (سلاتر) باسمًا ، وقال وهو يراجع لوح الكتابة فى يده :

- « هل اتخذت قرارًا ؟ »

قالت فى مشاكسة :

- « أبعدنى عن التاريخ الأمريكى .. فأنتم لا تطيقون الحقائق .. »

قال لها وهو يشير إلى مكتبه فى خلفية القاعة :

- « نريد أن نتكلم معك بعض الوقت .. »

- « أنتم ؟ »

ـ « أنا و د. (دافنبورت) .. »

لم تكن تطيق سماع هـذا الاسم ، لكنه ـ للأسف ـ زميـل عمل ، ولو كان بوسعنا أن نختار زملاءنا فى العمل لتحولت الحياة إلى جنة صغيرة .. أن تختار بينتك وأبويك وزمـلاءك فى العمل وربما رؤساءك .. هكذا تصير الحياة أجمل من أن تصدق ..

هكذا نهضت مغادرة آلـة الزمـن ومشـت متثاقلـة إلـى المكتب ..

هناك كان (جيمى) جالسًا وقد وضع ساقًا على ساق ، وفى عينيه نظرة متحفزة لا تختلف عن نظرة المصارع لدى دخوله الحلبة حين يجد خصمه قد سبقه ..

وعلى الفور وقبل أن تلتقط أنفاسها قال :

ـ « هل أغلقت باب آلة الزمن فى رحلتك الأولى ؟ »

فكرت قليلاً فى هذا السؤال الغريب ثم قالت :

ـ « لا أذكر طبعًا .. »

ـ « كيف ؟ أنت امرأة .. والمـرأة لا تفوتها التفاصيل .. فى السينما هناك مهنة اسمها (فتاة التتابع continuity girl) ..

لاحظى أنها فتاة ولم يقل أحد (رجل التتابع) .. مهمة هذه الفتاة أن تتذكر ما إذا كانت البطلة تضع يدها على خصر البطل أم على كتفه .. ما إذا كانت لفافة التبغ التى يمسك بها البطل قد بلغت نصفها أم لا .. وتتذكر هذه التفاصيل بعد أشهر حين يستكملون اللقطة .. لا يوجد غبى واحد يمكن أن يعهد بمهنة كهذه لرجل يقف ويحدثك ، ثم لا يذكر بعد دقيقة واحدة إن كنت تعقصين شعرك أم لا .. »

كررت فى عناد :

- « لابد أن الهرمونات الذكرية فى عروقى مرتفعة نوعًا .. »

- « هذا جميل .. نحن فحصنا آلة الزمن بعناية .. لم نفعل ذلك بعد الرحلة الأولى ولكن مؤخرًا .. هناك تجويف فى مؤخرة الآلة فى قمرة القيادة .. هذا التجويف يسمح باختباء إنسان ضخم الجثة .. فهل تعرفين ما وجدناه هناك ؟ »

- « لا .. »

- « قطرات دم متجمدة .. هل لديك تفسير ؟ »

فكرت حينًا ثم قالت :

- « لم أجرح إصبعى هناك لو كنت تفكر فى هذا .. »

- « ونحن نعرف أنك لم تجرحى إصبعك .. »

قال د. (سلاتر) فى هدوء :

- « هـذا هو مـا كنـا نفكر فيـه .. لهذا فكرنـا فى خطـة صغيرة .. ستعودين إلى لحظة مصـرع (راسبوتين) .. لـن تحضرى الاغتيال بل بعدها بقليل .. »

قالت وهى تنهض :

- « لن أكرر مشاهدة هذا المشهد الشنيع .. »

- « قلت إنك لن تحضرى الاغتيال .. كل ما هنالك هو أن ... »

وراح يحكى خطته الجديدة ...

★ ★ ★

حينما وقفت آلة الزمن وسط الأشجار أثار ذهولها أنها ترى آلة الزمن على بعد أمتار مـن موضعها .. آلـة الزمـن التى ركبتها فى رحلتها الأولى قد صارت جزءًا من التـاريخ وبوسعها أن تراها الآن من موضعها هذا ..

لكن .. هل صارت آلة الزمن التى تركبها الآن جزءًا مـن التاريخ بدورها ؟ هل كانت دائمًا هنـاك ؟ هذه الأمور تسبب

الدوار .. يحتاج الأمر إلى عدد من علماء المنطق يضعون تصورهم للأمر أما هى فعقلها أبسط من هذا .. كل ما تعرفه أنها تتوارى بين الأشجار .. ترى الشرفة من بعيد .. تسمع صوت الطلقات وتسمع صوت المعركة الدائرة هناك ..

سقوط (راسبوتين) فى الماء المتجمد ..

الرجال يختفون من الشرفة ..

كل هذا رأته من قبل .. ترى هل سترى نفسها ؟ هل تواجدت فى هذا الزمن مرتين ؟ هل هناك (عبير) أخرى تنتظر تحت الشرفة وتركض نحو آلة الزمن الآن ؟

هنا تصلبت ..

لقد كان (جيمى) محقًا ..

لقد تركت باب آلة الزمن مفتوحًا .. وهى الآن ترى ذلك الجسد الضخم المبتل يزحف خارجًا من البحيرة المتجمدة .. يركض وهو يلهث ويتعثر نحو آلة الزمن .. يلقى نظرة حوله ، ثم بلا تردد يثب داخلها ..

تحشرجت الكلمات فى حلقها ..

لقد ركب !

الوغد قد ركب !

إنها ترى نفسها قادمة من بعيد .. هذه الفتاة النحيلة المدثرة بالفراء .. إنها هي بالتأكيد .. تثب داخل آلة الزمن .. تغلق الباب .. يا لك من حمقاء ! إن (راسبوتين) معك داخل آلة الزمن !

الأمير ورفاقه يخرجون المسدسات والحرس القيصرى يهرع ليهدد راكبة آلة الزمن ..

الآلة تختفى وسط دوامة من الريح والضباب .. وأخيرًا يقف الأمير ناظرًا فى حيرة إلى الموضع الذى خلا الآن ..

هكذا وقد رأت ما أرادت أن تراه ضغطت بدورها على أزرار آلة الزمن ..

لم تنس قبل أن تنطلق أن تلقى نظرة سريعة إلى القسم الخلفى من القمرة .. لا يوجد أحد .. لقد أصابها الوسواس ..

إذن الشيطان لم يمت عندما سقط فى البحيرة ..

لقد ظل حيًا .. تسلل إلى آلة الزمن المفتوحة ..

كانت السبيل الوحيد له كى يظل حيًا .. وبشكل ما كان وجودها سببًا فى تغير التاريخ وفى إنقاذ حياته ..

لم يتردد ولم يتساءل عن كنه هذا الشىء ..

وهكذا عادت عبر التاريخ إلى الولايات المتحدة حاملة وحشًا عاش منذ مائة عام ..

الآن تعرف الحقيقة ولات حين مناص ..

كانت ترتجف كورقة حين عادت إلى زمننا هذا ، واحتاجت إلى وقت أطول من اللازم حتى تحكى ما حدث .. إن فكرة وجود (راسبوتين) الجريح معها فى آلة الزمن ، وهى لا تدرى لفكرة مرجفة ..

ولما قصت ما رأته على (سلاتر) و(جيمى) بدا عليهما أنهما كانا يتوقعان هذا ..

« فقط أردنا أن ترى هذا بعينك .. »

« وماذا يجعلكما متأكدين إلى هذا الحد المروع ؟ »

قال د. (سلاتر) وهو يصب لنفسه بعض القهوة :

- « هناك معالج روحى ظهر فى حياة الرئيس ... يعالج ابنته وتتزايد أهميته يومًا بعد يوم .. معالج له تأثير نفسانى غير عادى وكل من تعامل معه لم يستطع مواجهة عينيه .. ألا يبدو هذا مألوفًا ؟ »

- « من أخبركم بهذه التفاصيل ؟ »

ـ « الكل يتحدث فى (واشنطن) ..

إذن لم يكن المستشار الصحفى أحمق .. هى الحمقاء .. ولم يكن ثرثارًا .. فقط هى صماء ..

وواصل د. (سلاتر) كلامه :

ـ « وهذا المعالج لم يظهر إلا بعد رحلتك إلى الماضى .. ثم بقع الدم الجافة فى آلة الزمن .. »

قال د. (جيمى) :

ـ « ولهجته الروسية .. لقد تحدثت معه فى المطعم حين كاد يفتك بى .. أقسم أن هذه اللهجة لا يمكن أن تكون ألمانية .. أنا عرفت بعض ذوى الأصل الروسى فى (نيويورك) وأعرف كيف يتكلمون .. »

قالت (عبير) :

ـ « لكن لا يمكن إثبات هذا .. ربما نحن متأكدين منه لكن ماذا تقولون للرئيس ؟ »

قال د. (سلاتر) وهو يرشف ما فى قدحه :

ـ « لابد أولاً من استكمال الحلقة المفقودة .. من عالجه ؟ كيف ذاب فى المجتمع الأمريكى ؟ لماذا تعرفك ؟ »

ثم نظر إلى خارج الغرفة شارد الذهن وغمغم :

- « والأهم ... ماذا يريد بالضبط ؟ »

★ ★ ★

استغرقت رحلتها التالية بضعة ايام لكنها عادت بعد دقيقة من إقلاعها كالعادة ..

لقد عادت أولاً إلى تلك اللحظة التى خلا فيها المختبر إلا من آلة الزمن ، فرأت (راسبوتين) - كما عرفته - يتسلّل خارجًا منها فى الظلام .. وكان فى أسوأ حال ممكن لكنه استطاع التسلُّل إلى خارج المختبر ..

وفى الليل المظلم مشى يترنح .. ويبدو أنه استطاع أن يجد إحدى جمعيات جيش الرب .. هناك أطعموه وعالجوه وقد قدروا أنه مهاجر روسى لم يجد الإنجليزية بعد ، وعلى الأرجح اعتدى عليه بعض الزنوج بالضرب والسطو .. لم تكن هناك مشاكل مع الشرطة .. وجدوا له ثيابًا تناسب حجمه الضخم ، وكانت هناك فتاة من أصل روسى استطاعت أن تتكلم معه بلغته .. كان ذكيًا ولم يعطها أية معلومات مهمة ، لكنه عرف منها الكثير عن هذا الزمن .. ولابد أنه استغرق وقتًا طويلاً حتى يستوعب حقيقة أنه فى المستقبل بعد مائة عام تقريبًا ..

من هنا بدأت رحلته في المجتمع الأمريكي .. حلق لحيتـه المخيفة وارتدى ثيابًا عصرية ، وراح يزاول بعض الأعمـال التي تناسب جسده القوى .. تعلم الإنجليزية وتعلـم مفردات هذا العالم .. لا تنس أن ذكاءه كان جبارًا وكانت سرعته فـي التعلم مما يدير الرءوس ..

كان ما رأته (عبير) كافيًا ويفسر الكثير لذا عادت إلى زمننا ..

وهكذا إذ جلسـت في مكتب د. (سـلاتر) كـانت الصورة واضحة ..

قال (جيمي) وهو يضرب قبضته بكفه :

ـ « الأمر كما أراه هو أن هذا الوغد يكمل دورة حياتـه .. لقد سبب تدمير آل (رومانوف Romanov) وكان من الأسباب المهمة التي قادت لثورة 1917 التي أنجبت الشيوعية .. واضح أنه سوف يبذل جهده لتدمير آل (باكستر) .. من يدرى ؟ ربمـا تقوم ثورة شيوعية هنا ! »

ضحك د. (سلاتر) حتى راح صدره يهتز ، وقال :

ـ « لا تكن سـخيفًا .. ثـورة شيوعية في الولايات المتحدة

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى ؟ جل ما يقلقنى هو أنه سيؤذى الرئيس .. كل طفل يعرف أن (باكستر) ضعيف الشخصية .. »

- « هكذا كان القيصر (نيقولا) .. »

قالت (عبير) وهى تتأهب للنهوض :

- « الخلاصة .. لا أعتقد أن فى وسعنا عمل شىء .. فقط نكتفى بإنذار من يعنون بالرئيس .. »

- « هل لديك اقتراح ؟ »

لم يكن لديها أى اقتراح ..

لكنها حين تلقت تلك الدعوة للبيت الأبيض بعد أسبوع قررت أن فرصتها قد حانت ..

* * *

8

ـ « هذا الرجل يجب أن يرحل .. »

كذا أعلن أعداؤه ..

لكن السيدات توسلن إليهم : « لاتحاولوا هذا من فضلكم .. »

من المؤكد أن هذا الـ (راسبوتين) كان يملك سحرًا خفيًا ..

وبرغم أنه كان وحشًا فظًا ، فإن النساء كن يتساقطن بين ذراعيه ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

★ ★ ★

فلاحة روسية حسناء تحمل جرة من النبيذ وتمشى فى الطريق ، وفجأة ينقض عليها عملاق ملتح مخيف فيقبلها بعنف ، ثم ينتزع منها الجرة ويجرع كل ما كان فيها من النبيذ ، ثم يعيد لها الجرة قائلاً :

ـ « هذا النبيذ هو ثمن القبلة !! »

ويبتعد مهرولاً ، بينما الفلاحة المذهولة الشاعرة بالمهانة والصدمة ، تسأل القوم :

ـ « من هذا الحيوان ؟ »

قالت لها فلاحة متقدمة فى العمر :

- « ألا تعرفينه ؟ روسيا كلها تعرفه .. إنه (راسبوتين) .. »

ولد (جريجورى ييفموفيتش راسبوتين Grigory Yefimovich Rasputin) فى (توبولوسك Tobolsk) بسيبيريا عام 1871 .. أو هو التاريخ الأرجح لدى المؤرخين ..

يقترن اسم (راسبوتين) بلفظة راهب لكنه فى الحقيقة لم يكن راهبًا على الإطلاق .. كان ينتمى لجماعة (الخليستيين) وهى جماعة تؤمن بشىء واحد : كل شهوة لدى الإنسان يجب أن تطاع والأرض السوداء هى التى تعطينا أشهى الثمار .. وهذا يذكرنا إلى حد ما بالفلسفة الأبيقورية . وعلى كل حال نحن نجهل كل شىء تقريبًا عن الأربعين سنة الأولى من حياته .. فقط نعلم أنه كان متزوجًا ولديه ثلاثة أبناء هم (ديمترى) و(فارفارا) (و(ماريا) .. وقد ذاعت سمعته كرجل مقدس يستطيع شفاء المرضى .. كان مصدر هذه السمعة هو نفسه ، وقد جاء له الفلاحون الروس من كل حدب وصوب يستشفون لديه مقابل المال أو الهدايا .. على كل حال هناك الكثير من الجدل حول قدراته الخارقة هذه ، لكن لم يختلف اثنان على موهبته العظيمة : قدرته التى لا تصدق

على بعث الطمأنينة فى نفس المرضى المذعورين .. الموهبة الأخرى التى لا شك فيها هى أن امرأة لم تقاوم سحره قط .. لا أعرف السبب فى الحقيقة باعتباره لا يزيد جمالاً على كاتب هذه السطور ، لكن هذا الأخير لا يملك نظرة النساء للأمور على كل حال ..

يرتحل (راسبوتين) إلى (سان بطرسبرج St Petersburg) عام 1905 .. وهناك ينتظره قدره ..

إن قصته مع القيصر وابنه صارت معروفة للجميع على كل حال .. لقد آمنت القيصرة (ألكسندرا) بالقدرات السحرية للرجل حين رأت ابنها يشفى من مرض (الهيموفيليا) .. وهكذا تنامت سلطة (راسبوتين) يومًا بعد يوم ، وحين نشبت الحرب العالمية الأولى وذهب القيصر إلى الجبهة صار (راسبوتين) هو الآمر الناهى فى البلاط .. المشكلة هنا هى أن القيصرة كانت ذات أصل ألمانى ، وهو اختيار غير موفق بالنسبة لشعب يخوض حربًا ضد ألمانيا .. هكذا وجدت نفسها تنعزل أكثر فأكثر بينما يحتل (راسبوتين) الواجهة ..

من المريضات المهمات فى حياة (راسبوتين) أيضًا صديقة القيصرة (آنيا فيروبوفا) التى تعرضت لحادث قطار مروع .. ويبدو أن جسدها قد تحول إلى عجين لا يرجو له

الأطباء إلا موتًا هادئًا .. هنا ـ فى لحظة شهيرة من لحظات (راسبوتين) ـ جلس جوار فراشها وأمسك بيدها ، وراح يكرر : انهضى يا (أنوشكا) .. انهضى ..

وبعد دقائق كان العرق قد غمره ، وكانت (أنوشكا) تنهض .. لقد شفيت وإن لم يكن شفاء كاملاً .. وهكذا ظفر بأخلص صديق عرفه فى القصر ..

عين القيصر رئيس وزراء بارعًا يدعى (ستوليبين Stolypin) فعل كل ما يستطيع لإنقاذ عرش القيصر ، لكن القيصرة كانت تكره رئيس الوزراء هذا ، والسبب ـ طبعًا ـ هو أنه حاول أن يحد من السلطات الهائلة لـ (راسبوتين) رجلها المقدس ..

وعلى كل حال تم اغتيال (ستوليبين) هذا بعد عامين .. والسبب ؟ لا أحد يمكنه معرفة أسباب الاغتيال دائمًا .. هناك من يرجح أن الرجل كان أنجح من اللازم حتى خشى مشعلوا الثورة أن تنطفئ إذا استمر فى سياسته الموفقة .. وهو ما يدلك على أن المطلوب من الثورات ليس إصلاح حال البلاد ولكن أن تحكم أنت ..

وبدأ الناس يعتقدون ـ وهذا صحيح إلى حد ما ـ أن

(راسبوتين) ينـوم القيصـر وزوجتـه مغناطيسيًا .. قيل إن علاقة عاطفية ما تربطه بالقيصرة لكن التاريخ يؤكد أن هـذا غير صحيح .. كانت مجرد أم وجدت الشـفاء الوحيد لابنها الموشك على المـوت ، وقـد صممت على ألا تتخلى عنه .. وبالنسبة للطبقة الأرستقراطية القريبة من الصورة لم تكن هـذه الفـكرة واردة على الإطـلاق ، لكن الأمر بدا مقنعًا ـ ومشينا ـ بالنسبة لعامة الشعب البعيدين عن القيصر .. دعك من أن الكلام عنه لذيذ ممتع كذلك .. إن الدهماء يحبون أن يتصوروا إلى أى حد بلغ فساد الأثرياء والمشاهير ، ونجاح أية جريدة (باباراتزى Paparazi) فى عصرنا هذا لخير شاهد على هذا .. لسان حالهم يقول : « هؤلاء الأثريـاء يملكون المـال والجمـال والنفوذ لكنهـم تعسـاء منحلـون يعيشـون كالحيوانات .. بينما نحن لا نملك إلا الشرف وسعداء به .. »

كانت أولى محاولات الخلاص من تأثير الرجل عام 1912 مؤسية ، لقد اختلف مـع القيصر فاختـار لنفسه منفى اختياريًا وقيل إنه قرر أن يحج إلى القدس .. إلا أن الأمير (ألكسى) تعثر فى الحمام ، و(بانج !) .. راح يتصرف كـأى مريض (هيموفيليا) يجيد عملـه .. راح ينزف بلا توقف .. وفى ذلك العصر قبـل اكتشـاف عوامل الدم المجلطة فإن النهاية

كانت قريبة جدًا ، أبرقت الأم إلى (راسبوتين) فى منفاه الاختيارى تطلب عونه فرد عليها : الأمير لن يموت .. لقد استجاب الرب لصلواتك ..

وخلال ساعات توقف النزف واستعاد الصغير عافيته ..

كانت هذه هى النقطة التى عرفت عندها الأم أنها لن تتخلى عن (راسبوتين) أبدًا ..

فى النهاية بدأ الأمراء يجمعون على أن هذا الرجل يجب أن يرحل .. وهكذا وجهت له الدعوة إلى بيت الأمير (يوسوبوف) .. وكان الطعم الذى وضع له هو أنه سيقابل زوجة الأمير ، وما كان (راسبوتين) ليمتنع عن لقاء أية امرأة جميلة فى أى مكان فى أية لحظة .

هناك كان العشاء يتكون من النبيذ وكعك الشيكولاتة المشبع بالسيانيد .. كلنا رأينا ما حدث فى الفصل الأول ، وكيف استطاع أن يقاوم السم .. لم يشعر سوى بحرقة عابرة فى معدته .. واسترخى فى مقعده طالبًا من الأمير أن يسمعه أية أغنية يحفظها !

كان الأمير على وشك الانهيار التام ، لذا هرع إلى أصحابه فاستعار مسدسًا ، وعاد إلى العملاق وأطلق عليه رصاصة فى

صدره .. يسقط الرجل المخيف أرضًا فيقف الأمير يتفحصه .. هنا ـ مثل أى فيلم رعب ـ يفتح (راسبوتين) عينيه ويطبق على ساق الأمير .. لابد أن قلب هذا الأخير كف عن الخفقان بعض الوقت، ولم يستطع التملص إلا بغرس السكين فى ذراع (راسبوتين) ..

وهكذا تتوالى الأحداث الشنيعة التى انتهت بإلقاء الجثة فى النهر ..

* * *

البيت الأبيض من جديد ..

فى هذه المرة كان العشاء مختلفًا نوعًا ..

لقد جلست (عبير) متوترة تراقب ما يحدث .. لسبب ما كانت تعرف إنها هنا بحكم المجاملة وليس لأنها ضيف مرغوب فيه ..

يدخل الرئيس القاعة ومعه زوجته .. الطريف هنا أن الزوجة كانت تمشى مع الأخ (بيتر) وهما يثرثران .. إنه يقهقه بصوت عال مطوحًا رأسه إلى الوراء .. يبدو أنه ينعم بوقته حقًا ..

كيف لم تلحظ هذه النظرات من قبل ؟ كيف لم تر هاتين العينين الناريتين ؟ كيف لم تلحظ هذه القامة الفارعة ؟ كل هذا لم تلحظه لسبب بسيط هو أن (راسبوتين) حلق لحيته الهائلة ، وارتدى ثيابًا عصرية بدلاً من ثيابه المميزة .. العباءة الطويلة التى تمس الأرض والحذاء عالى الرقبة ..

أضف لهذا الغباء البشرى المعتاد .. أنت تتوقع أن ترى فلانًا فى المكان والزمان الخاصين به ، فإذا قابلته فى مكان وزمان آخرين افترضت ببساطة أنه ليس هو .. هذا يحدث للجميع ..

وقف الرئيس الأمريكى يلقى الكلمة المعتادة قبل أية مأدبة ، ثم بدأ يتكلم فى أمور غريبة بعض الشىء ..

ـ « الاستفزاز الذى تمارسه الحكومة الروسية .. محاولة استرداد الجمهوريات الحرة فى أوروبا الشرقية إلى ملكوتها من جديد .. فلتحل بى اللعنة ! لقد ولى عهد الستالينية .. إلخ .. »

ما معنى هذا ؟

كان جو من التوتر قد بدأ يتسرب إلى الجالسين .. ونظرت (عبير) حولها فرأت المستشار الصحفى (ريتشارد كيلرمان)

جالسًا على بعد مقعدين منها ، وهو يحاول جاهدًا أن يقطع قطعةً قاسيةً من اللحم فى طبقه ..

نظرت حولها فلم تر أحدًا ينظر لها .. هكذا مالت نحوه وهمست :

ـ « هاى (ريتشارد) .. »

رفع رأسه ورآها فابتسم ابتسامة عابرة .. وقال :

ـ « الحسناء هنا ؟ »

ـ « ما هذا الهراء ؟ »

ـ « أى هـراء ؟ هنـاك الكثيـر منــه .. هل تعنين كونـك حسناء ؟ »

ـ « هذا الكلام عن روسيا .. »

وضع الشوكة والسكين جانبًا وعقد يديه كأنما هو يصلى ، وقال :

ـ « اسمعى يا (بيتى) .. ليـس من المفترض أن أقول ما سأقوله لكنها الحقيقة .. الرئيس يحاول التحرش بـ (روسيا) لسبب لا أدريه .. نحن نعرف أن (روسيا) اليوم فى أضعف وأوهن وضع مرت به فى تاريخها ، لكنه لسبب ما يصر على اعتبارها الخطر الأوحد الداهم المترصد بأمتنا .. »

ـ « هل كرر هذا الكلام من قبل ؟ »

ـ « يكرره كل يوم تقريبًا .. »

ـ « ومعنى هذا ؟ »

ـ « أنت تعرفين أن كل رئيس أمريكى بحاجة إلى حرب جيدة يثبت فيها رجولته .. يبدو أن (باكستر) العجوز يمر بهذه المرحلة .. »

ـ « لكن الأمر ليس بهذه البساطة .. أنت تتكلم عن تحدى دولة نووية .. »

ـ « إن مستشاريه يعلمون هذا ويقولونه .. ليس هذا دورى على كل حال .. »

إن المكارثية شبح يطارد الولايات المتحدة منذ زمن بعيد .. الخوف من الاتحاد السوفييتى أدى إلى ظهور رجل مثل سناتور (مكارثى Mcarthy) الذى راح يضطهد الكتاب والفنانين بتهمة الشيوعية ، اليوم انتهى الاتحاد السوفييتى فلماذا يفكر أحدهم فى عودة المكارثية ؟

على غير العادة قال الرئيس وهو يشير إلى (بيتر) :

ـ « أنتم تعرفون (بيتر) .. لا أخفى لحظة أنه مستشارى وطبيبى الخاص وصديقى العزيز .. الأمر الفريد هنا هو أنه راقص بارع حقًا .. »

تبادل القوم النظرات فى حيرة .. هذا غير معتاد فعلاً ..

وما زاد الطين بلة أن عازفين زنجيين دخلا يحمل أحدهما جيتارًا والآخر طبلاً ، وبدأت موسيقا بسيطة لكنها فعالة .. كل الجالسين فى حيرة لا يعرفون ما يقولون أو يفعلون ، لكن الرئيس بدأ يصفق بيديه ومعه السيدة الأولى .. وعلى حركات الإيقاع نهض (بيتر) إلى وسط المكان .. ثابتًا لايتحرك شىء فيه إلا عيناه .. ثم ببطء بدأت حركة مغناطيسية تدب فى ساقيه .. وسرعان ما اتخذ وضع (الكازاتشوك) الشهير .. الركبتان مثنيتان والردفان يوشكان على ملامسة الأرض لكن لايفعلان ، بينما يداه متقاطعتان عند المعصمين .. وراح يثنى ساقًا ويفرد الأخرى بالتوالى وبسرعة لاتصدق ..

تدريجيًا بدأت الحمى تدب فى الجالسين .. طبعًا لم تفعل (عبير) إلا أن تثاءبت فهى رأت هذا الفيلم من قبل ..

إلا أن الرقصة هذه المرة كانت أكثر حيوية .. لقد جذب شرشف إحدى الموائد ليطير ما عليها من أطباق وكئوس ، ثم وثب فوقها وراح يرقص ..

الخلاصة أن انفلاتًا عنيفًا ساد القاعة لايليق بالبيت الأبيض على الإطلاق .. وعلى قدر علمى لم يقف أحدهم ليرقص (الكازاتشوك) فوق مائدة منذ بنى البيت الأبيض حتى اليوم ..

فى النهاية طار (بيتر) فى الهواء ليسقط جالسًا على مقعد جوارها .. مد يده إلى زجاجة كانت على المنضدة هناك فرفعها إلى فمه وأفرغ جرعات هائلة ، ثم طوح الزجاجة وراء كتفه ..

مبللاً بالعرق رآها تنظر إليه فنظر لها بثبات ، وقال :

- « كيف حالك ؟ »

قالت فى ثبات مماثل :

- « يبدو أنك لاتنوى التخلى عن عاداتك الروسية .. (كازاتشوك) وزجاجات تقذف فوق الكتف .. »

فكّر قليلاً ، ثم قال لها :

- « أعتقد أنك الآن تعرفين كل شىء .. أليس كذلك ؟ إن لى جواسيسى فى كل مكان .. إذن يمكننا الكلام بلا أقنعة .. »

راق لها هذا فقالت :

- « لماذا أنا بالذات ؟ »

- « لأننى عدت معك وراقبتك كثيرًا .. ظل وجهك ملتصقًا بذاكرتى ، حتى رأيت وجهك مع الرئيس فى تلك الجريدة .. هنا خطر لى إننى إذا أردت تعرف الرئيس فأنت بداية الخيط .. »

ـ « والمرآب واللص الذى ضربته ؟ »

ضحك كثيرًا .. ثم قال :

ـ « عرفت بيتك وكنت أراقبك فترة ، وقد أعددت هذه اللمسات الأخيرة .. أعرف أنك تعودين وحدك من المرآب فى هذا الوقت .. لتكن هذه بداية التعارف .. »

ـ « أنت وغد .. »

ـ « ربما .. لهذا بقيت حيًا .. كلما كثر أعدائى ازددت قوة .. »

ثم طوح رأسه إلى الوراء ، وانفجر ضاحكًا على الطريقة (الراسبوتينية) الشهيرة .. نظرت حولها لتتأكد من أن أحدًا لا يراقبهما ، ثم سألته :

ـ « ماذا تريد من الرئيس ؟ »

ـ « أنا أبحث عن القوة .. القوة المطلقة .. أين أجد القوة المطلقة إن لم يكن هنا ؟ مع رئيس أقوى دولة فى العالم ؟ معنى أن أسيطر عليه أن أحكم العالم بالوكالة .. »

ـ « وهل تسيطر عليه ؟ »

ـ « أسيطر على زوجته .. وهى تسيطر على زوجها .. اللعبة هكذا دائمًا .. »

فكرت قليلاً ، ثم سألته وقد عرفت أنه سيجيب :

- « ماذا تريد من روسيا ؟ »

نظر لها طويلاً .. عيناه تشعان قوة لا توصف .. هذا رجل سيفعل ما يريد ولن يعبأ لو داس صفًا من الأطفال الرضع فى طريقه لغرضه ..

- « يجب أن تخفض روسيا رأسها لى .. يجب .. »

- « بعد كل هذه الأعوام ؟ »

- « (بيتر) .. إن الصداع يقتلنى ! »

كانت هذه الأخيرة من السيدة الأولى التى وضعت أناملها على جبهتها ، ثم أرجعت رأسها للوراء ..

نهض (بيتر) من موضعه دون كلمة أخرى ، وجرى إلى حيث كانت السيدة تقاوم الصداع .. جلس جوارها .. أمسك بأناملها برفق ، ثم قال لها كلمتين ففتحت عينيها وراحت تحملق فى عينيه المتسعتين .. كان يقول شيئًا ما وهى تبتسم .. وضع سبابته على جبينها فبدت عليها أمارات الراحة ..

هل هو الإيحاء ؟ كان السؤال المجنون يحير (عبير) .. إنه تأثير (البلاسيبو Placebo) الذى يجعل المريض يشعر

بتحسن بمجرد ابتلاعه كبسولة من الجيلاتين بشـرط أن يعتقد أنها تحوى الدواء .. لكن لو انطبق تأثير الإيحاء على عرض مثل الصداع فكيف ينطبق على الهيموفيليا أو ذلك المرض النادر الذى أصاب ابنة الرئيس ؟

الحق إن (راسبوتين) لغز .. لكن ما لا شك فيه هو أنـه فعلاً يسيطر على الزوجة تمامًا ..

* * *

فى المساء عرفت (عبير) الخبر من (ريتشارد) ..

لقد أمر الرئيس الأمريكى بتركيب الرءوس النووية علـى الصواريخ العابرة للقارات ..

* * *

9

رارا راسبوتين ..

حبيب ملكة روسيا ..

رارا راسبوتين ..

أعظم أداة حب فى روسيا ..

من العار أنهم تركوه يتمادى ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)



فى الأيام التالية حدث الكثير من الصخب ..

الأزمة الدبلوماسية تتصاعد .. وإهانات متبادلة بين الرئيس الأمريكى والروسى ، وقد بدأ الغليان يجد طريقه إلى الجماهير .. نشرات الأخبار تظهر الاستعدادت العسكرية وحاملات الطائرات الأمريكية التى تستعرض قواها على حدود الاتحاد السوفيتى ..

أصوات خافتة تعالت هنا وهناك تقول إن روسيا فعلاً لم تفعل شيئًا ، لكن تم إخراسها بحجة أن هذا تبديد لهمة الأمة فى حاجة هى أحوج ما تكون فيه للاتحاد ..

دائمًا ترى الرئيس ومن وراء ظهره صديقه المريب (بيتر) الذى بدأ الناس يقبلون حقيقة وجوده ، وقد قدروا أنه ما دام الرئيس لا يقدر على الاستغناء عنه فهو على الأرجح مهم جدًا ..

كان رجال الجيش يجتمعون ويتدارسون الأمر .. ووضعت عشرات الخطط البديلة ..

هناك دائمًا صقور فى كل زمان ومكان رأى هؤلاء أنه لو شاءت أمريكا استفزاز روسيا فليكن هذا هنا والآن .. إن روسيا لم تعد هى الاتحاد السوفيتى .. إنها هشة يسهل تحطيمها أو الضغط عليها ..

يقول المعتدلون :

ـ « أنتم تتحدثون عن حرب نووية وربما عالمية .. »

يقول الصقور :

ـ « لن يحدث هذا .. نحن نضغط ونضغط وفى النهاية سوف يصرخ أحد الطرفين لأن أعصابه لم تعد تتحمل .. ولن يكون هذا الطرف هو الولايات المتحدة .. »

هكذا توالى الضغط من الطرفين .. طرف يضغط لأن

(راسبوتين) أراد ذلك ، وطرف يضغط لأنه وجد نفسه مضغوطاً بلا تفسير واضح .. وهنا تكتشف ظاهرة عجيبة .. إن جنون الأمم ليس شيئاً عسيراً أو مستحيلاً .. والسيناريو الذى تعتقد أنه يحتاج إلى أعوام طويلة قد يتحقق خلال أيام وفجأة تجد أن أسوأ كوابيسك يوشك على التحقق .. هناك لحظة تقرر فيها الدولة أنها جنت وأنه لا شيء يهم .. وعندها يتضح أن كل رصيد التعقل الذى حسبته موجوداً لا وجود له فى الواقع .. وجاء اليوم الذى صرخ فيه د. (سلاتر) :

- « ما الذى يقودنا إليه هذا المخبول ؟ »

قالت (عبير) فى هدوء :

- « لا تنس أنه كان يكره روسيا .. كان يريد السيطرة عليها بالكامل وإخضاعها ، وهو لم ينس هذا .. لقد جاء من العام 1916 ليكمل ما بدأه دون مبالاة بنحو مائة عام مضت من حينها .. لا بد أنه قرأ ما كتب عنه ويريد أن ينتقم .. »

- « لكنه مجنون إذن .. »

- « لم يقل أحد العكس لكنه ليس مكتوف اليد .. »

هنا نهض (جيمى) - الذى لم تعد تراه وغداً إلى هذا الحد - وقال فى حماس :

ـ « هذا لـن يكون .. سأطلب لقاء الرئيس .. سأخبره بالقصة كاملة .. سأقول له إن إرادته مسلوبة بتأثير هذا الوغد .. »

ـ « وهل تعتقد أنه سيصدقك ؟ »

ـ « سأكون مقنعًا .. لاحظى أن الرئيس قبل فكرة آلـة الزمن .. وهذا هو الجزء الأعقد فى الموضوع .. »

هكذا تم الاتفاق ورفع د. (سلاتر) سماعة الهـاتف .. لاحظ أنه ليس نكرة وطلباته مهمـة فـى البيت الأبيض .. سوف يرتبون اللقاء المزمع مع د. (دافنبورت) ..

* * *

فى العاشرة مساء عادت (عبير) إلى شقتها ..

كانت مرهقة بشدة لهذا طوحت بالحذاءين حيثما اتفق ، وزحفت إلى المطبخ مستشعرة تلك النشوة التى يبعثها التحرر من الحذاء بعد يوم طويل ..

راحت تبحث عن شىء يؤكل فى الثلاجة .. شىء يؤكل على الواقف أو يشرب .. من حقها بعض الترف كما ترى .. هنـا تذكرت شيئًا .. أين كلبهـا الصـغير ؟ ذلك الشىء المضحك الذى

لا يكف عن التواثب فى كل مكان ، ويحدث ضوضاء تذكرك ببطة مذبوحة ؟

راحت تبحث عنه وتنادى .. لكنها بدأت تعرف أن هناك شيئًا خطأ على الأرجح .. لابد أنه عالق فى مكان ما أو مريض .. أو ....

فى الحمام رأت المشهد .. كان وصفنا للبطة المذبوحة دقيقًا فعلاً ..

فقدت وعيها لثانية وهى واقفة ، فارتطم رأسها بقائمة الباب .. ثم عادت إلى رشدها .. من الكافر الذى فعل هذا بكلب برىء وديع ؟ من يستطيع ؟

وارتجفت ..

معنى هذا أن هناك من دخل الشقة فمن هو ؟ ومن أدرها أنه رحل حقًا ؟

هكذا اتخذت وضع دفاع عصبيًا يوحى بالشفقة .. هرعت إلى المطبخ فانتقت أكبر سكين هناك وشهرتها ، ثم اتجهت إلى الهاتف .. بدأت تطلب رقم الشرطة ، ثم توقفت .. إنه ذلك الهاجس الخفى الذى تعتبره النساء حاستهن السادسة .. بدأت تطلب رقم د. (سلاتر) ..

هل هناك من يئن ؟

هذا حقيقى .. ومعنى هذا أنها محقة .. هى ليست وحدها فى الشقة ..

من أين جاء الصوت ؟ من هنا ؟ لا .. لا .. أنت حمقـاء .. الصوت جاء من هنا ..

من الخزانـة الجداريـة .. لا تعرف أيـة معجـزة جعلتهـا تستجمع شجاعتها وتتجه إلى هناك .. تفتحها وتلقى نظرة ..

حسن .. لا داعى لوصف المشهد لكنه شنيع .. لقد تحول الرجل إلى نسخة أخرى من أيقونة القديس (سباستيان) التى تخترق المدى كل جزء منها .. من الرجل ؟ (جيمـى دافنبورت) طبعًا .. حسبت هذا واضحًا .. هل نسيتم ملامحـه بهذه السرعة ؟ لعل بشاعة المنظر جعلتكم لا تميزون جيدًا ..

لو حدث هذا فى بداية القصة لشعرت (عبير) بالرضا لأنهـا كانت تمقت (جيمى) فعلاً ، أمّا الآن فهى لا تـراه بهذه السوء دعك من أنـه كائن حى . وهى بالفعل لا تتحمل أن ترى كائنـا حيًا فى مشهد كهذا ..

الغريب أنه لم تكن هناك بقعة دم واحدة من حوله ، علـى عكس الكلب ..

ولماذا كان يئن ؟ لا تعرف .. لكنه كف عن ذلك على كل حال ..

انتابتها حالة من الهستيريا .. راحت تتنفس بتلك السرعة التى تزيد قلوية الدم والتى تبدأ نوبات الصرع لدى المتأهبين له .. استندت إلى الجدار وراحت تحاول ألا تفقد الوعى .. ليس الآن .. ليس الآن ..

من جديد هرعت إلى الهاتف ..

كانت تعرف أن هذه هى اللحظة المناسبة فى الأفلام السينمائية كى يأتى الهجوم من الخلف .. ستقول آلو .. الشرطة .. أنا فى ورطة .. إن عنوانى هو .... هنا توضع اليد على فمها وتخنقها بينما تتدلى السماعة على الأرض يدوى منها صوت فتاة السويتش المعدنى يكرر ، من يتكلم ؟ أرجو إعطائى العنوان ..

لهذا قرَّرت أن تلغى هذا الاحتمال ، واستندت بظهرها إلى الجدار ..

ردَّ يا د. (سلاتر) أيها الأحمق .. رد ..

أخيرًا جاء صوته ـ ذلك الأحمق ـ سأل عمن هنالك ..

ـ « أنا (بيتى) .. لقد قتل كلبى بطريقة شنيعة .. »

ثم تذكرت أن هذا ليس كل شىء فأضافت :

ـ « و د. (دافنبورت) كذلك .. لا أعرف كيف وصل إلـى شقتى لكنه هناك وقد قتل بلا رحمة .. »

قال (سلاتر) وقد بدأ يفهم :

ـ « اتركى كل شىء كما هو وتعالى حالاً .. »

ـ « أخشى أن المصير ذاته ينتظرنى .. لا أعرف ما يوجد على باب الشقة .. »

ـ « لا أعتقد أن هناك المزيد من الخطر .. هذه رسالة تهديد .. لا أكثر .. (راسبوتين) يطالبك بأن تهتمى بشئونك الخاصة .. وأعتقد أنه عرف ما كان (جيمى) ينتويه .. لو تفحصت جثة (جيمى) لما وجدت دماء حوله .. »

ـ « كيف .. كيف عرفت ؟ »

قال بثقة :

ـ « بديهى .. لقد قتل فى مكان آخر ، ثم تخلصوا من جثته فى شقتك .. الغرض أن ترى ما يصير إليه من لا يهتمون بشئونهم الخاصة ، ولا يشربون اللبن قبل النوم .. »

قالت فى رعب :

- « وهل فعل (راسبوتين) ذلك وحده ؟ »

- « لماذا يفعل ؟ لا تنسى أن المخابرات المركزية ومكتب الاستخبارات الفيدرالى FBI طوع أمره الآن .. كل ما عليه هو أن يطلب .. بالمناسبة لا تنسى أن احتمال أن يكون هاتفك مراقبًا هو 99% ! »

هنا شعرت بأنها لا تمسك هاتفًا وإنما ثعبان (كوبرا) .. تكاد تقسم أنها سمعت فحيحًا يخرج من السماعة .. أدارت السماعة فى يدها فى هلع ، ثم قالت :

- « ماذا أفعل ؟ »

- « لاشىء .. تعالى لى وسوف أرتب الاتصال بالشرطة .. »

- « هل يتهموننى بشىء ؟ »

- « بالطبع لا .. لكنهم سيحررون الحادث ضد مجهول ، ولسوف تخضعين لاستجوابهم عدة أيام .. »

هكذا وضعت السماعة .. هى بالفعل لم تعد راغبة فى البقاء ثانية واحدة أخرى فى هذه الشقة التى تفوح برائحة الموت .. دعك من فكرة تهشم حاجز الخصوصية .. البيوت هى قلاعنا

وملجأنا فإذا عرفت أن شخصًا كان يجول بحرية فى هذا البيت قبل قدومك .. إذا عرفت أن هناك من يصغى لسكناتك ويراقب حركاتك ، عندها يصير البيت كابوسًا .. عندها يتهشم حاجز الأمان والخصوصية ويصير أى شىء واردًا ..

فكرت فى هذا كله وهى تهرع إلى سيارتها ..

را .. را .. راسبوتين ..

الذى يوجد فى كل مكان ويراقب الجميع ..

را .. را .. راسبوتين ..

الذى يحاول أن يحيل العالم جحيمًا ..

را .. را .. راسبوتين ..

كأن هذا الكابوس لم يكن كافيًا للعالم مرة واحدة .. لا بد من أن يتواجد مرتين ..

* * *

10

الآن دعنى أقدم لك الموجودين ..

لا تقلق .. إنهم ستة فقط .. لن يطول الأمر ..

أنت تعرف د. (سلاتر) و(عبير) فلا داعى لتقديمهما من جديد .. لكنى أقدم لك (سميث كلارسون) .. لا داعى لمعرفة مهنته فأنت خمنتها .. هذه العضلات القوية ونظرة الكلب البوليسى اليقظ .. لقد كان يعمل فى المخابرات المركزية لفترة .. الآخر رجل عسكرى جدًا .. سنتفق على دعوته بالجنرال (ك) .. لماذا (ك) ؟ لأن هذا ليس أول حرف من اسمه طبعًا .. ظننت هذا واضحًا .. الثالث اسمه (مايكل فريدلاندر)، وكان مختصًا بالعمليات القذرة فى المخابرات فى العصر الذهبى لها، أيام (إدجار هوفر) وسواه، حين كانوا يذهبون للوكالة فى الصباح .. يتناولون الإفطار .. ثم يضعون الخطط لاغتيال الزعيم (جمال عبد الناصر) حتى المساء فيعودون لبيوتهم وينامون راضين عن أنفسهم، السادس هو (ليندساى برستون) .. قاض فيدرالى عظيم المكانة والسن والحجم ..

اليوم هناك مهمة اغتيال يرتب لها هؤلاء لكنها ـ للمرة الأولى ـ عملية فى محلها ..

قال (كلارسون) :

ـ « طبعًا نحن جميعًا متفقون على ضرورة التخلص من (بيتر كاوفمان) قبل أن يقود العالم إلى الهاوية .. »

قال (سلاتر) :

ـ « لندعه (راسبوتين) .. فهذا يجعل مهمتنا أسهل .. »

سألت (عبير) في حذر :

ـ « وهل أنتم متأكدون من أننا استنفدنا الوسائل السلمية كلها ؟ »

قال (فريدلاندر) :

ـ « كلنا حاولنا الاتصال بالرئيس وتحذيره .. لكن إما عجزنا عن ذلك أو وجدنا أن الرئيس لا يصغى لأحد .. لقد أحكم هذا الشيطان قبضته عليه .. وهناك أشخاص قتلوا في ظروف غامضة .. لو أطلقت لنفسي العنان لقلت إنه لا يوجد شخص واحد نثق به في البيت الأبيض .. إن شبكة علاقات الرجل تتزايد .. دعك من أنه ما من امرأة لا تعمل معه سرًا وتعطيه ولاءها الكامل .. »

في غيظ قالت (عبير) :

ـ « باستثناء واحدة .. »

قال د. (سلاتر) باسمًا :

- « لم يشك أحد فى ولائك يا صغيرة .. أنت الاستثناء الذى يؤكد القاعدة ، والشاذ يحفظ ولا يقاس عليه .. »

كان الجنرال (ك) يتمتع بتلك الخاصية المهمة التى يتمتع بها الرجال الغامضون .. إنه دائمًا فى الظل فلا ترى وجهه .. لو أنك وضعت كشافًا من كشافات المسرح أمام أنفه وأوقفته فى الصحراء ظهرًا لظل وجهه فى الظل .. هذه موهبة لا نتمتع بها نحن معشر غير المهمين .. ويمكن أن تعتبره قائد هذه المجموعة الصغيرة التى أطلقت على نفسها اسم T.W.R.P.S .. لماذا هذا الاسم بالذات ؟ إنه الحروف الأولى من عبارة .. للأسف نسيت .. لابد أنها تعنى شيئًا ما .. إن ولع هؤلاء الأمريكيين بالحروف الأولى من الجمل الطويلة ليثير الأعصاب ..

قال الجنرال بصوته الهادئ الرتيب :

- « ستكون العملية نمطية .. استدراجه خارج البيت الأبيض لموعد مع حسناء .. هذا ينجح دائمًا .. »

أضافت (عبير) :

- « وهكذا مات أول مرة .. »

ـ « لكن من هى الحسناء ؟ »

قالت (عبير) فى حدة :

ـ « ليس أنا من فضلك .. »

ـ « أوه يا عزيزتى .. كنت أتكلم عن حسناء ! لا انتقص شيئًا من جمالك ، لكنك لست من الطراز الذى لا يقاوم .. ثم إنه يعرف كل شىء عنك ، ولن يمنحك ثقته أبدًا .. »

ومن تقوم بهذا الدور غير (كاتيا شرودر) ؟

★ ★ ★

بالنسبة لـ (عبير) لم تكن (كاتيا شرودر) إلا حدأة ملطخة بالأصباغ ، لكنها أدركت من شهيق الرجال وارتباكهم أنها بالفعل تعزف على الوتر الصحيح .. إنهم مجانين هؤلاء الرجال ولا يمكن فهمهم أبدًا .. لو كانت رجلاً لما أحبت إلا فتاة واحدة : (بيتى دانييلز) .. أى (عبير) ذاتها فى صورتها الجديدة .. إن ملامحها جميلة مريحة توحى بالرقى والذكاء ، لكنها ليست رجلاً على كل حال ، ولن تفهم مقاييسهم أبدًا .. المزية الأهم فى (كاتيا) أنها لم تقع فى سحر (راسبوتين) .. كانت تجده مخيفًا منفرًا ، فلابد أنها احتفظت ببعض الهرمونات الذكورية برغم كل شىء ..

لقد تم ترتيب كل شيء .. تم ترتيب تعارف (كاتيا) مع (راسبوتين) .. الصدفة هنا أنها من أصل روسى .. لهذا يمكنها الكلام مع الرجل بالروسية وكان هذا يروق له ..

ثم جاءت اللحظة المهمة .. لنلتق خارج البيت الأبيض .. إن هذا المكان يبعث فى التوتر .. حاول أن تتخلص من كل هؤلاء الرجال الذين يراقبونك لأننى لا أشعر براحة وسط كل هذه الديناصورات الصلعاء التى تدس السماعات فى الآذان ..

وكان هو متحمسًا مستعدًا لأى شيء تطلبه ..

وفى ليلة الثلاثاء دق جرس الباب فى شقة (كاتيا) .. أشارت إشارة خفية فتوارى الرجال الذين ينتظرون فى كل ركن من الشقة الواسعة .. فقط تحاشوا الحمام والمطبخ .. من الوارد أن يقرر الرجل دخول أحد المكانين .. فتحت الباب فرأت (بيتر) واقفًا وحده .. كان متأنقًا ضخمًا كالعادة يمسك بباقة من الورد فى يده محاولاً أن يتظاهر بالرقة ...

الحقيقة أن كل شيء كان مراقبًا من قبل مجموعة المتمردين الصغيرة ، المجموعة التى تحاول إنقاذ أمريكا والعالم من الكارثة القريبة ..

هناك فى مقرهم فى مختبر د. (سلاتر) جلس الجميع أمام شاشات المراقبة يشاهدون الصور الرقمية القادمة من شقة (كاتيا) .. إنهم متوترون لكنهم يأملون فى انتهاء الكابوس سريعًا ..

على الشاشة يرون (بيتر) يدخل الشقة .. (كاتيا) متوترة .. متوترة جدًا .. تحاول أن ترسم على وجهها تعبير براءة، النتيجة أنها توشك على الصراخ : أنا لم أنصب لك شركًا .. أنا لم أنصب لك شركًا ..

سألته فى صوت مرتعش :

ـ « ماذا تريد أن تشرب ؟ »

ألقى بقدميه فى حذاءيهما على المنضدة أمامه، وقال فى غلظة :

ـ « فودكا .. الكثير منها .. ثم تعالى لنجلس ونتكلم .. »

تركته وهرعت إلى المطبخ .. من الصعب ألا تصطدم بساق أو حذاء رجل من هؤلاء المختبئين فى كل ركن من الشقة .. رجل خلف هذه الأريكة .. رجل وراء هذا الستار .. إلخ .. بدأت تعد الفودكا، ثم وضعت قرص السم فيها كالعادة .. هذا القرص

الذى أعطاها إياه (فريد لاندر) .. وهو من سموم المخابرات عالية الفعالية .. لابد أنه كلف دافعى الضرائب مبالغ هائلة ..

(هل هناك من يفتح سدادات زجاجت هنا ؟ ما هذا الصوت ؟)

كان الأمر سهلاً هذه المرة ، فلن يكرر الحركة المعهودة ويبدل الكأسين لأنها أرادت أن تشرب بعض عصير البرتقال وهو آخر شيء يمكن لوحش مثل (راسبوتين) أن يشربه ..

قدمت له الكأس وحاولت ألا ترتعش يدها لكن الجميع رأى هذه الرعشة حتى على الشاشات ومع الصورة الرقمية بطيئة الحركة بطبيعتها ..

لكن (راسبوتين) لم يبد مهتمًا .. أو لم يلحظ .. كان ينظر لها هى فى نهم ولا ينظر ليدها ..

رفع الكأس ..

وكالعادة أفرغه فى جوفه مرة واحدة ... ثم طوح الكأس وراء ظهره ليتهشم فى الجدار ويسقط جوار المدفأة ..

قال لها وهو يعود للاسترخاء :

- « ممتاز .. إن النار اشتعلت فى معدتى .. »

حينما تعـد المخـابرات الأمريكية الفودكا المسمومة فهـى تعد الأفضل ..

أمام الشاشات ظل الرجال ينتظرون حـدوث شـىء ، لكنـه لم يحدث .. ورأوا فى هلع أن (راسبوتين) يطـالب بـالمزيد .. التفت د. (سلاتر) إلى (فريدلاندر) فى شك وسأله :

ـ « ما نوع هذا السم ؟ »

قال (فريدلاندر) فى فخر :

ـ « (سيانيد) .. إنه فعال جدًّا ! »

تبادل (سلاتر) و (عبير) نظـرات خيبـة الأمـل ، ثـم قـال فى غيظ :

ـ « هل هذا أفضل ما عندك ؟ كل هذا التخطيط والعبقرية من أجل سم قاومه (راسبوتين) عام 1916 ؟ مائة عام تقريبًا لم تغير شيئًا فى علم السموم ؟ »

ـ « إن السيانيد فعال وراق .. رجل المخابرات الذى لا يقتـل بالسيانيد هو شخص منحط .. »

ـ « حسبتك ستستعمل سم (FFAD-53) الـذى لا يمكـن اكتشافه والذى يسبب الموت فى ربع ثانية .. »

- « لم أسمع عن هذا الـ (FFAD-53) .. »

- « ولا أنا .. لقد قمت بتأليفه حـالاً .. لكنى حسبته موجوداً عندكم .. »

تناول الجنرال (ك) الذى لم يحب هذه المحادثة الميكروفون ، وقال بصوته العجيب الرتيب الخالى من الانفعالات :

- « من الأمير إلى مجموعة النظافة .. انتقلوا للخطة (ب) .. »

★ ★ ★

را .. را .. راسبوتين ..

حبيب ملكة روسيا ..

وضعوا بعض السم فى نبيذه ..

را .. را .. راسبوتين ..

أعظم أداة حب فى روسيا ..

شربها كلها وقال : أشعر بالرضا ..

لم يجعلهم هذا يتوقفون ، فقد أرادوا رأسه ..

لذا أطلقوا عليه الرصاص حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

★ ★ ★

سـمعت (كاتيا) هذا الجزء ـ كلام الجنرال لا الأغنية ـ من السماعة الدقيقة المثبتة فى قرطها ، وهـى ترشـف عصير البرتقال ، فوضعت الكأس جانبًا ونهضت ..

سألها (راسبوتين) وهو ينحى الزجاجة جانبًا :

ـ « إلى أين ؟ »

قالت مصطنعة الدلال :

ـ « سأصلح زينتى .. لا تسـأل امرأة أبدًا عن وجهتها لأن هذا يحرجها .. »

ثم اتجهت إلى الحمـام فأغلقته على نفسها وجلست على المغطس .. ودخلت فى حالة من الهستيريا فراحت تبكى وتلطم الخدين ..

قالت (عبير) وهى تراقب الشاشة :

ـ « قلت لكم إن هذه الفتاة قبيحـة كالأبالسـة .. الآن تصدقوننى .. »

الحقيقـة أن الكحل فى عينى (كاتيا) تحول إلى خطين أسودين طويلين ينحدران من عينيها ، بينما اسودّ ما تحت عينيها حتى صارت كالراكون .. وسـال المخاط من أنفها ،

وتحول شعرها إلى ليفة تصلح لتنظيف الأطباق .. كانت تعرف أن شقتها ستتحول إلى ساحة رماية بعد ثوان .. لسوف تقضى ثلاثة أيام فى جمع الطلقات الفارغة التى سيفرغها هؤلاء فى جسد الرجل .. دعك من أحشائه طبعًا ..

قال جنرال (ك) وهو يراقب الشاشة فى قلق :

ـ « لماذا لا يتحرك البلهاء ؟ »

على الشاشة كان الرجال متوارين كما هم .. فى وضع ثابت لا يتحرك ..

ـ « من الأمير إلى مجموعة النظافة .. انتقلوا للخطة (ب) .. »

لكنهم لم يتحركوا ..

ـ « من الأمير إلى مجموعة النظافة .. انتقلوا للخطة (ب) .. ماذا دهاكم يا حمقى ؟ »

فى اللحظة التالية دبت الحياة فى الصور .. هذه المرة لم يكن الرجال فى وضعهم السابق بل كانوا جثثًا هامدة غارقة فى برك الدم .. ماذا حدث ؟ ما معنى هذا ؟

دخل (راسبوتين) الكادر .. كان ينظر مباشرة إلى الكاميرا الخفية ويتكلم !

قال فى هدوء وبلا انفعال من أى نوع :

- « معذرة يا جنرال .. إن الصور التى كنت تتلقاها منذ ساعة هى صور فيديو تم تسجيلها لرجالك حين كانوا أحياء وقد قام رجالى بإعادتها عدة مرات .. لا أفهم هذه التفاصيل الإليكترونية فأنت تعرف أننى لم أفهم هذا العصر بعد ، لكن هؤلاء الرجال يجيدون عملهم حقًا .. إنهم يعرفون كل شىء عن هذه التدابير منذ يومين ، وقد قاموا بفك وتركيب أجهزة التنصت هذه .. وبينما كانت تلك الحمقاء فى المطبخ تدس لى السم قاموا بتشغيل الفيلم المزيف ، ثم دخلوا الشقة ، وقتلوا كل المبتدئين الذين أرسلتهم بأسلحتهم مزودة بكاتم الصوت .. رجالك ماتوا منذ لحظة تقديم السم لى لكنكم لا تعرفون .. طبعًا شربت السم لأن مذاقه يروق لى .. »

ثم تنهد بينما امتلأ الكادر برجال يحملون المسدسات المزودة بكاتم الصوت .. وقال :

- « من الحمق أن تعتقد أن الطريقة ذاتها ستنجح معى مرتين .. والآن يمكن ببساطة أن أقول إن أمركم انتهى فعلاً .. أنا أعرف من أنتم وأعرف كيف أجدكم .. »

ثم اتجه نحو الحمام وقال وهو يشير إلى الكاميرا :

ـ « الآن يمكنك أن تستمتع بمشاهدة إعدام جاسوستك الحسناء هذه .. أرجو أن تتابع جيدًا لأن طريقتى فريدة .. »

وأطلق أحد الرجال طلقة على قفل الباب فانفتح ..

غير مصدقين راح الرجال يشاهدون ما يحدث .. حتى حسبوا أنهم يشاهدون أحد أفلام (لوتشيو فولشى Fulci) .. لابد أن خللا قد حدث وجعل الكاميرات تنقل فيلمًا من أفلام الجياللو Giallo الإيطالية المريضة ..

وهتف (فريدلاندر) غير مصدق :

ـ « رباه ! هؤلاء الرجال أقسى منا بمراحل .. لم أتصور هذا قط .. »

بينما أفرغت (عبير) معدتها وهتفت :

ـ « حمدًا لله أننى لم أتطوع لهذه المهمة .. »

وكان القاضى هو من أول من تكلم بصوت العقل بحكم مهنته .. تنحنح وقال :

ـ « هو ذكر كلمة (جنرال) .. أليس كذلك ؟ »

ـ « بلى .. »

- « معنى هذا أنه لايمزح .. إنه يعرف من نحن فعلاً وماذا نريد .. يجب أن نتفرق سريعًا .. »

وتبادلوا نظرات قلقة ..

الحقيقة أن الوضع يسوء بسرعة ..

* * *

11

عاش رجل ما فى روسيا منذ زمن بعيد ..

كان قويًا ضخمًا .. وفى عينيه بريق ملتهب ..

أكثر الناس كانوا يرمقونه بتوجس وخوف ..

لكن بالنسبة لحسناوات (موسكو) كان لطيفًا حبوبًا للغاية ..

أغنية قديمة لفريق (بونى إم Boney M)

★ ★ ★

اتخذت الصواريخ النووية وضع الاستعداد ..

الرئيس الأمريكى طرح على الكونجرس تعديلات مهمة بصدد قوانين الانتخابات .. يبدو أنه يحاول إجراء تعديل دستورى يجعل مدة الرئاسة عشر سنوات ! طبعًا ساد الاحتجاج وتعالت أصوات الرفض ، لكن الرجل كان قد بدأ يتعلم كيف يصير دكتاتورًا .. لن يتمكن من تحقيق غرضه ، لكن هذا ينذر بانقسام مروع فى الحكومة وعلى مستوى الشعب الأمريكى ذاته ..

الأمم المتحدة تحاول وقف فتيل الحرب قبل أن يصل إلى الديناميت ، لكن السفير الأمريكى فى إحدى دول أوروبا الشرقية نجا من محاولة اغتيال ..

إن العالم على غلاية كالتى نحن عليها الآن ، وإن كانت الأسباب مختلفة ..

لكن (عبير) لم تكن تتابع هذه الأمور ..

بالأحرى كانت تحاول وقفها ..

* * *

جنرال (ك) ..

كان يمشى فى طريقه إلى سيارته والظلال تغمر نصفه العلوى كما هى العادة ، حينما شعر بشىء غريب .. شعر بأنه مراقب .. نظر للوراء فرأى ذلك البريق .. إنه يعرفه جيدًا منذ كان فى حرب (فيتنام) .. انعكاس نور الشمس على عدسة تلسكوب بندقية قناص .. وهذا القناص يتوارى فى إحدى النوافذ المطلة على المكان ..

قال بصوته الرتيب :

- « إن هذا .... »

وقبل أن يفسر الأمر كانت الطلقة قد دوت .. وسقط على رفرف السيارة ..

* * *

قال د. (سلاتر) وهو يقود (عبير) عبر الممرات الملتوية التى تقود إلى مختبره :

ـ « المهم أن تتحلى بالشجاعة .. أنا لم أفعل هذا من قبل لكنى سأفعله من أجل الجميع .. »

* * *

(سميث كلاركسون) ..

يقود سيارته بنفسه .. إنه اعتاد هذا ولم يكن يثق بقيادة أى شخص آخر ..

الطريق مكتظ بالسيارات .. هناك إشارة مرور فاضطر إلى التوقف .. راح يتسلى بالطرق على عجلة القيادة بينما رأى بركن عينيه سيارة سوداء تتوقف فى محاذاته ..

بدافع الفضول التفت إلى اليسار ..

كان ما رآه هو أن السيارة يركبها اثنان .. وأن الرجل الذى على اليمين ينظر له .. لم تكن يده خالية .. كان يحمل مسدسًا كاتمًا للصوت وكان يصوبه على رأسه .. رفع يده عن المقود وهتف بصوت كالبكاء :

ـ « لا يمكن .. لن تفعل هذا بى .. إن .....

هنا انطلقت الطلقة .. فلوب .. صوت انتزاع سدادة الفلين المميز ..

لم يكمل عبارته كتلك العادة المستفزة لدى المحتضرين .. وسرعان ما كانت السيارة السوداء تكسر الإشارة ، وتنطلق مبتعدة بينما سقط صدره على آلة التنبيـه فتصاعد الصوت عاليًا يصم الآذان ..

★ ★ ★

حاملة الطـائرات (ساراتوجا) تتخذ أقرب وضع ممكن للهجوم ..

وعلى متنها عرف الجميع أن الأمر جلل ..

بينما تعالى صوت مكبر الصوت ينذر البحارة :

- « هذا ليس تمرينًا .. انتباه .. هذا ليس تمرينًا .. »

جو عام من التوتر ساد الجميع بينما هم يحملون الطـائرات بالقنابل ويعدونها للغارة الأولى .. شعروا بتقلص فى أحشـائهم .. اللحظة التى يرهبها العالم منذ انتهت الحرب العالمية الثانية صارت دانية جدًا ..

ووقف الكومودور (أروسميث) يرقب البحر المتلاطم أمامه وهمس لمساعده :

ـ « لا أعرف سبب هذا .. لا أرى مبررًا لما سيحدث لكننا جنود .. سنفعل ما نؤمر به ولن نسأل أسئلة .. سنفعله جيدًا .. »

* * *

أما عن (فريدلاندر) فقد وجد صعوبة فى فهم سبب توقف المصعد به ..

كان فى الفندق الذى يقيم فيه مؤخرًا ، وكان كل شىء يعمل بكفاءة .. لكن المصعد توقف بين الطابق الثامن عشر والتاسع عشر .. ضغط زر الاستغاثة ، وما لم يعترف به لنفسه هو أنه يعانى الكثير من (الكلوستروفوبيا) .. هذا مشين لكنه حقيقى ..

راح يدق بقدميه بشىء من العصبية ..

فندق بهذا الحجم ولا يشعر عماله بأن المصعد معطل ..

لكن من حسن حظه أن الحركة كثيرة ولسوف يلاحظ أحدهم أن الأمور لا تسير على ما يرام .. هذا محتوم .. لن يصيبه أسوأ من الذعر ..

فجأة شعر بأن الأرض تهبط ..

هذه حقيقة ! إن المصعد يهوى لأسفل !

لم يجد الوقت الكافى لفهم ما يحدث لأنه .. بفعل القصور الذاتى .. طار لأعلى ليضرب رأسه فى السقف قبل أن يصير هو والمصعد كتلة واحدة لها نفس التسارع .. هذه أشياء بديهية فيزيائيًا يعرفها طلاب المدارس الثانوية لكنى نسيتها للأسف .. كل ما أعرفه أن الرجل هلك .. فليتكرم أحدهم بتفسير الأمر لى فيما بعد ..

* * *

الآن (عبير) ترتدى ثيابًا ثقيلة تناسب تلك الليلة فى (سانت بطرسبرج) منذ مائة عام .. تضع القفازات .. ينظر د. (سلاتر) إلى ساعته ويقول لها :

ـ « فلنسرع .. »

طلب الجنرال (ك) بهاتفه الخلوى فلم يرد .. لم يرد أى واحد من المجموعة ..

قال لها وهو يلبس الثياب المناسبة للطقس البارد :

ـ « كما توقعت .. أعتقد أن عملية الصيد بدأت .. »

- « ربما تمت ؟ »

- « لم تتم بعد .. ما زلت أنا وأنت حيين ! »

انفتحت آلة الزمن الرهيبة .. هذه المرة لم يكن هناك فريق العمل ولا ذلك الزحام .. وقد عانى د. (سلاتر) كثيرًا حتى تمكن من أن يضع (البازوكا) داخلها .. وهكذا دخل وجلس فى تلك الكابينة الخلفية التى لا بد أن (راسبوتين) توارى فيها منذ أشهر .. تكور على نفسه وراح يلهث .. كان الطقس حارًا لكنه لن يصير كذلك بعد دقائق ..

أغلقت (عبير) الآلة وهمست فى رعب :

- « هل تعتقد أنه خمن ما ننتويه ؟ إنه يسبقنا دائمًا بخطوة واحدة .. »

- « لا سبيل لمعرفة هذا إلا بالتجربة .. ولو انفجرت هذه لدى التشغيل كما يحدث مع سيارات المافيا فلن نظل حيين لنندم .. »

قالت (عبير) وهى تجفف عرقها وتضغط على الأرقام التى حفظتها :

- « لا أعتقد أنهم لغموها وإلا ما حاجتهم لهذا ؟ »

نظر إلى حيث أشارت خارج الزجاج البراق ، فرأت هؤلاء الرجال القادمين ، كلهم يحمل مدافع (العوزى) الإسرائيلية .. أداة القتل الرشيقة التى باعتها إسرائيل للعالم كله ...

صرخ فى جزع :

ـ « اهربى فورًا ! لو أن طلقة اخترقت هذا الزجاج ! »

كانت (عبير) قد ضغطت الزر فعلاً .. ومن جديد ترى أسلوب (زمن الطلقة) الشهير .. لقد تدربت على هذا ..

وهكذا بدأت الرحلة ضمن الدوامات الزمنية المعهـودة .. كان (سلاتر) يوشك على أن يموت انفعالاً وحماسًا وخوفًا ، أما هى فقد صار الطريق محفوظًا لها فلولا الحياء لتثاءبت مللاً ..

أخيرًا هى ترى المشهد الذى صار مألوفًا ..

الشرفة من بعيد وصوت الطلقات .. آلة الزمن التى جاءت بها لأول مرة تتوارى بين الأغصان على حافة النهر ..

راحت ترقب المشهد لاهثة .. شعرت بمن يلهث جوارهـا فالتفتت .. كان هذا د. (سلاتر) الذى يرقب ماصنعه هو وفريقه .. كـان لايصدق مـا يراه .. حتى وهو يراه رأى العين .. همس بصوت كالفحيح :

ـ « مذهل .. »

سألته حائرة :

ـ « د. (سلاتر) .. معنى هذا أن آلة الزمن الأخرى التى عدت بها ثانى مرة تقف فى الحديقة ؟ هل يعنى هذا أن ثلاث آلات زمن كانت تقف عندما قتل (راسبوتين) ؟ لماذا لا أرى الأخرى ؟

قال لها وهو يفتح الباب :

ـ « شش .. لا وقت لهذا .. ناولينى البازوكا .. »

(راسبوتين) يسقط فى الماء .. الرجال يهرعون للحاق به ..

يقف د. (سلاتر) ضئيل الحجم حاملاً البازوكا التى يبلغ حجمها ضعف حجمه ويحاول أن يحكم التصويب ..

الآن يتجه (راسبوتين) الجريح إلى آلة الزمن ويدخلها بلا تردد ..

* * *

كانت هذه هى الفكرة التى خطرت لد. (سلاتر) .. أن يقتل (راسبوتين) فى هذا المكان بالذات وهو فى أوهن حالاته .. جريحًا ينزف مذعورًا خائفًا .. هنا يمكن الظفر به ، بينما يبدو أنه صار أذكى وأقوى من أى تصور فى زمننا ..

سوف ينتظر حتى يدخل آلة الزمن الأولى ، ثم ينسفها بمن فيها ، وهكذا لن يعود هناك (راسبوتين) فى زمننا ..

إنه الحل الوحيد .. العودة عبر حاجز الزمن لتصحيح خطأ قاتل ..

لقد دخل (راسبوتين) الآلة المفتوحة وتوارى داخلها ..

هتفت (عبير) وهى تضغط على أسنانها :

ـ « هيا يا دكتور .. الآن .. »

لكنه ضغط الزناد فلم يحدث شىء ..

★ ★ ★

تعرف هذا طبعًا لأن هذا هو البروتوكول .. كل جهاز يعمل جيدًا حتى اللحظة التى تتوقف فيها حياتك عليه ..

★ ★ ★

الآن ظهرت (عبير) القديمة وهى تركض نحو الآلة .. دخلتها .. أغلقت الباب ..

هتفت (عبير) الحالية فى رعب :

ـ « توقف .. لم يعد هذا ممكنًا الآن .. »

نظر لها (سلاتر) فى حيرة .. عينان زجاجيتان خاليتان من التعبير .. ثم صوب البازوكا وضغط الزناد مرة أخرى ..

النار تخرج من مؤخرة المدفع ومن مقدمته ، ولم تر (عبير) القنيفة تخرج لكنها رأت آلة الزمن تنفجر .. تتطاير أجزاؤها فى كل صوب وتحول ظلام الحديقة إلى نهار .. وارتجت الأرض تحت قدميها ..

هنا وجدت أنها تقف وحدها ..

أين ذهبت آلة الزمن ؟ أين د. (سلاتر) ؟ هل هلك (راسبوتين) ؟

كيف تعود إذا كانت آلة الزمن قد تلاشت ؟

هنا سمعت من يقول بصوت مميز :

- « طبعًا هلك (راسبوتين) .. لا أحد ينجو من انفجار كهذا .. »

التفتت للوراء فرأته .. المرشد يقف بذات البرود المعتاد والبسمة السمجة على شفتيه والقلم الأبدى فى يده يتسلى بالضغط عليه ..

هتفت فى رعب :

ـ « المرشد .. عامة أنا لا أهيم بك حيًا لكنك تأتى حينما تكون الحاجة ماسة لك .. »

قال وهو يدس يده فى جيبه :

ـ « لن تعرفى أبدًا كم إن الحاجة ماسة لى .. أنت الآن فى مأزق حقيقى .. لقد نسفت آلة الزمن وفيها (راسبوتين) .. بالتالى انتهت كل التداعيات الكارثية التى توشك على تدمير العالم .. لكنك نسفت كذلك .. لقد اضطر د. (سلاتر) للتضحية بك لأنه لاوقت للعودة للحاضر وبدء رحلة أخرى .. هل تفهمين معنى هذا ؟ معناه أنك هلكلت فى ليلة من عام 1916 ! »

ـ « ماذا تعنيه ؟ أنا حية أرزق .. »

ـ « هذا لأنك فى (فانتازيا) .. لكن الحقيقة هى الحقيقة .. فى اللحظة التى انفجرت فيها آلة الزمن لم يعد هناك (راسبوتين) فى المستقبل ولا آلة زمن ، ولن توجد الصحفية الحسناء (بيتى) .. »

ـ « لكن لابد أن توجد فى المستقبل حتى يمكنها أن تموت فى الماضى .. »

ـ « لا يهمنى ما تعتقدين .. لكن هل تتصورين أن تراقبى مشهد موتك فى الماضى وتظلى حية ؟ لقد تم التخلص من (راسبوتين) بسعر باهظ .. »

كانت تشعر بالدوار .. كل مشاكل السفر فى الزمن هذه تشعرها بالدوار .. أقرب إلى العبارات المنطقية التى تلتهم نفسها .. حلاق (كريت) يحلق للرجال الذين لا يحلقون لأنفسهم ولا يحلق للرجال الذين يحلقون لأنفسهم .. المشكلة هى أين يحلق هو . لو حلق لنفسه فهو يحلق لنفسه وبالتالى لا يجب أن يحلق لنفسه ، ولو لم يحلق لنفسه لصار ضروريًا أن يحلق لنفسه !

أين الصواب وأين الحقيقة ؟

قال لها المرشد :

ـ « لو كنت اكتفيت من هذه التجربة الرهيبة فإننى أرى أن بوسعنا الرحيل .. »

ـ « ولو بقيت ؟ »

ـ « لا أضمن حياتك .. من المفترض أنك ميتة منذ خمس دقائق حسب منطق القصة .. »

هكذا ضمت المعطف علـى جسدها ورفعت الياقـة لتمنـع الريح الباردة من تجميد أذنيها وانطلقت وراءه ..

* * *

فـى القصـة القادمـة تخوض (عبير) عالمًا فريدًا مـن نوعه يذكرنا بنقوش مدرسـة (بهزاد) الفارسية .. سوف تقابل (جلجامش) و(انجيدو) وتعرف ما هو أكثر عن عالم الأساطير الفارسية الساحر ..

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

عينان


د. أحمد خالد توفيق

عاش رجل ما فى روسيا منذ زمن بعيد ..
كان قويا ضخما .. وفى عينيه بريق ملتهب ..
أكثر الناس كانوا يرمقونه بتوجس وخوف ..
لكن بالنسبة لحسناوات (موسكو) كان لطيفا حبوبا .. !
را را راسبوتين ..
حبيب ملكة روسيا ..
را را راسبوتين ..
من العار أنهم تركوه يتمادى ....

القصة القادمة

صديقى (جلجاميش)

الثمن فى مصر ٢٥٠ قـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مطابع

